

إعداد

عبدالله سليم القرشي

مصدر هذه المادة:







مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد:

لقد أعلى الله سبحانه من شأن الأخلاق في شريعته فحث عليها ورغب فيها، وجعلها أثقل شيء في الميزان يوم توضع الموازين ليوم القسط، وجعلها من مكملات الإيمان فالعامل بها من أقرب الناس من رسوله الكريم يوم القيامة.

ولما للأخلاق من المراتب العالية جاءت الشريعة ببنائها في النفوس وغرسها في القلوب بطريقة لم يسبق لها، فهي لم تأمر بها مجردة بل ربطتها بالعقيدة والعبادة ورتبت عليها الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة ورسمت المنهج القويم في كيفية تحقيقها في واقع الحياة ووضحت الطريقة في البعد عما يكون سببًا في تدنيها.

ولما كان الإنسان لابد له من أن يجتمع مع غيره ضرورة لذا كان عليه أن يتعلم من الأخلاق ما يسهل له التعامل مع بني جنسه حتى يكون في انسجام معهم.

وأنه مع تعظيم الشريعة للأخلاق إلا أننا نجد كثيرًا من المسلمين فرطوا في هذا الجانب العظيم وفي الصفحات التالية محاولة لبناء هذه الأخلاق في النفوس.. أسأل الله أن يسهل ويعين إنه بالمؤمنين غفور رحيم.

تعريف حسن الخلق

إنه بالنظر في التعاريف التي وردت في حسن الخلق نجدها متقاربة، منها: قال الحسن رحمه الله: حسن الخلق الكرم والبذل والاحتمال.

وقال المبارك رحمه الله: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

وعن الشعبي حسن الخلق: البذل والعطية والبشر الحسن...

وعن الإمام أحمد رحمه الله: أن لا تغضب ولا تحتد، وعنه أنه قال: حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس، وقال إسحاق بن راهويه: هو بسط الوجه وأن لا تغضب ونحو ذلك. قال محمد بن نصر وقال بعض أهل العلم: حسن الخلق كظم الغيظ وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر والعفو عن الزالين إلا تأديبًا وإقامة الحد وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر وأخذ مظلمة المظلوم من غير تعد[1].

(وقد قيل: إن حسن الخلق بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى)[2].

(وقيل: حسن الخلق بذل الجميل وكف القبيح. وقيل: التخلي من الرذائل والتحلي بالفضائل)[3].

---

(1) جامع العلوم والحكم ج1-457/1-458.
(2) مدارج السالكين ج307/2.
(3) مدارج السالكين ج294/2.

(والخلق: بذل الندى وكف الأذى واختيار الفضائل وترك الرذائل والتحلي بالفضائل)[1].

(وحسن الخلق أن يكون سهل العريكة لين الجانب طلق الوجه قليل النفور طيب الكلمة)[2].

قال القرطبي رحمه الله: (الأخلاق أوصاف الإنسان التي يتعامل بها مع غيره وهي محمودة ومذمومة، فالمحمود على الإجمال تكون مع غيرك على نفسك فتنصف منها ولا تنصف لها، وعلى التفصيل: العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتوادد ولين الجانب ونحو ذلك والمذموم منها ضد ذلك)[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكراه والدعاء له والاستغفار والثناء عليه والزيارة له وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب)[4].

---

(1) صحيح شعب الإيمان 322.

(2) أدب الدنيا والدين 237.

(3) فتح الباري ج456/1.

(4) مجموع الفتاوى ج5-369/10 طبعة العبيكان.

وقال ابن سعدي رحمه الله: (هو خلق فاضل عظيم أساسه الصبر والحلم والرغبة في مكارم الأخلاق وآثاره العفو والصفح عن المسيئين وإيصال المنافع إلى الخلق أجمعين، فهو احتمال الجنايات والعفو عن الزلات ومقابلة السيئات بالحسنات؛ وقد جمعه الله في آية واحدة وهي قوله: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [الأعراف: 199][1].

فعلى هذا يكون حسن الخلق ما يعامل به الإنسان من كرم وبذل واحتمال وبسط للوجه بالبشر والبشاشة سهل العريكة كاف عن الأذى بالمقال والفعال بعيد عن الغضب والحقد طيب الكلمة يعفو عن المسيء ويجود بنفسه وماله، ويشفق ويقضي للناس الحوائج ويتودد ويلين ويتواضع لهم ويعلمهم، وينفعهم بماله وجاهه ولا يكون نفورًا منهم بل منهم قريب ولمناديهم مجيب وهو بالجملة متخل عن القبائح ومتحل بالفضائل على هدى الإسلام وشرعه القويم.

* * *

(1) الرياض الناضرة 74.

القرآن الكريم وعنايته بالأخلاق

لقد عنى القرآن الكريم بالأخلاق أيما عناية يتضح ذلك من خلال الآيات المبثوثة فيه مما يدل على عظم هذه الشريعة الإسلامية وإليك طرفًا منها:

قال تعالى: ﴿ **هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ** ﴾ [الرحمن: 60].

ما جزاء من أحسن إلا أن يحسن إليه وهذا فضل عظيم فمن أحسن عمله لله أحسن الله إليه ومن أحسن إلى خلقه بكف الأذى عنهم ومساعدته والتفضل عليهم كان جزاؤه من جنس عمله أن يقابل بالإحسان قال تعالى: ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ [البقرة: 83]، خلق عظيم يربي به تعالى المؤمنين ويأمرهم أن يلتزموه مع الناس وهو يشمل كل قول حسن.

قال ابن سعدي رحمه الله: (ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم وبذل السلام والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار ولهذا قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [العنكبوت: 46] ومن أدب الإسلام الذي أدب الله به عباده أن يكون الإنسان

نزيهًا في أقواله وأفعاله غير فاحش ولا بذيء ولا شاتم ولا مخاصم بل يكون حسن الخلق واسع الحلم مجاملًا لكل أحد صبورًا على ما يناله من أذى الخلق...)[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الإسراء: 53].

في الآية أمر من الله أن يكون ما يتلفظ به المرء من الأقوال طيبًا يعبر عن خلق كريم لأن القول الحسن حري أن يكون سدًا منيعًا أمام الشيطان أن ينفذ منه إلى صفوف المؤمنين.

يقول سيد قطب رحمه الله عند هذه الآية: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾(على وجه الإطلاق وفي كل مجال فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة. فالشيطان ينزع الأخوة بالكلمة الخشنة تفلت وبالرد السيئ يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالعداء والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب. تندي جفافها وتجمعا على الود الكريم)[2].

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 73/1.

(2) الظلال ج223/4.

قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199].

آية عظيمة فيها الأخذ بالعفو عمن ظلمك والقول الحسن لمن أساء إليك والإعراض عمن جهل عليك فكلها آداب عظيمة تبني في النفس أخلاقًا كريمة.

(هذه آية جامعة لحسن الخلق مع الناس وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس أن يأخذ العفو أي ما سمحت به أنفسهم وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم. ولا يتكبر على الصغير لصغره ولا ناقص العقل لنقصه ولا الفقير لفقره بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم.

﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل وخلق للقريب والبعيد.. ولما كان لابد من أذية الجاهل أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله فمن آذاك بقوله أو فعله لا

تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه ومن قطعك فصله ومن ظلمك فاعدل فيه..)[1].

(قيل لسفيان بن عيينة: قد استنبطت من القرآن كل شيء فأين المروءة فيه فقال في قوله تعالى: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ ففيه المروءة وحسن الآداب ومكارم الأخلاق فجمع في قوله ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ** ﴾ صلة القاطعين والعفو عن المذنبين والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين ودخل في قوله ﴿ **وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ** ﴾ صلة الأرحام وتقوى الله في الحلال والحرام وغض الأبصار والاستعداد لدار القرار ودخل في قوله: ﴿ **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ الحض على التخلق بالحلم والإعراض عن أهل الظلم والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة)[2].

وقال تعالى: ﴿ **إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ [البقرة: 237].

---

(1) تفسير ابن سعدي ج2/182-183.

(2) عين الأدب السياسة وزين الحسب والرياسة 132-133.

رغب في العفو وأن من عفا كان أقرب لتقواه لكونه إحسانًا موجبًا لشرح الصدر ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل من الإحسان والمعروف وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو أخذ الواجب وإعطاء الواجب وإما فضل وإحسان وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق والغض مما في النفس. فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة ولو في بعض الأوقات وخصوصًا لمن بينك وبينه معاملة أو مخالطة فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم)[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: 134].

يمدح الله سبحانه وتعالى الكاظمين غيظهم والذين لم يقابلوا من آذاهم بشر بل يصبروا عليهم ويكظموا غيظ قلوبهم بل أنهم يعفون عنهم وهذه أفعال وأخلاق أهل الإحسان الذين يحبهم الله سبحانه وتعالى.

فعلينا أن نتخلق بتلك الأخلاق العظيمة إذ العمل بها يوجب البعد عن التنافر والتشاحن فيبقى مجتمع المؤمنين متضامًا موحدًا لا يسوده إلا الحب ولا يعلوه إلا المودة ولا يخيم عليه إلا السكينة.

---

(1) تفسير الكريم الرحمن ابن سعدي ج192/1.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ [الشورى: 37].

(أي قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم فصار الحلم لهم سجية وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقالة أو فعالة كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه بل غفروه ولم يقابلوا السيئ إلا بالإحسان والعفو والصفح)[1].

وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الشورى: 40].

(وفي جعل أجر العافي على الله مما يهيج على العفو وأن يعامل العبد الخلق بما يجب أن يعامله الله به فكما يحب أن يعفو الله عنه فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله فليسامحهم فإن الجزاء من جنس العمل)[2]. ومما جاء في القرآن الكريم من الحث على الرحمة وترك الغلظة والفظاظة ما أدب الله تعالى به نبينا – عليه الصلاة والسلام – .

﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ** ﴾ [آل عمران: 159].

---

(1) ابن سعدي ج4/428.
(2) ابن سعدي ج4/430.

أدب عظيم لو تمسكنا به لحصل الحب والمودة والرحمة والتقارب ولو فعله الدعاة لكان طريقًا لكسب القلوب فبه يشد وثاقها فلا تند ولا تجفل.

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** ﴾ [الحجرات: 12].

إن الظنون إذا فشت في مجتمع أفسدته وجعلت أهله قطعًا متناثرين إذا الواجب أن يضمر المرء لإخوانه الخير فلا يبني أحكامًا نحوهم بمجرد الظن ولا يتبع عوراتهم بالتجسس عليهم ولا يغتابهم بل يكون معهم في أحسن حال نقي الصدر طاهر السريرة غافر الزلة ومقيل العثرة.

من الأخلاق الذميمة التي ذكرت في القرآن لكي يبتعد عنها المرء التكبر والفخر على الناس والخيلاء والتبختر في المشي وكلها أخلاق مرذولة لا تصلح للمسلم ولا يحق له أن يتمثلها. قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا** ﴾ [النساء: 36].

وقوله: ﴿ **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان: 18].

وقوله: ﴿ **وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا** ﴾ [الإسراء: 37].

وقوله: ﴿ **إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾ [النحل: 23].

ومن الأخلاق التي عني بها القرآن الإحسان إلى الوالدين.

قال تعالى: ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [النساء: 36].

(إن جماع الإحسان المأمور به أن يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ولا يخشن في الكلام معهما وأن يسعى في تحصيل مطالبهما والإنفاق بقدر سعته وأنت تعلم من فعل ذلك وهو لا يلقاهما إلا عابسًا مقطبًا أو أدى النفقة التي يحتاجان إليها وهو يظهر الفاقة والقلة فإنه لا يعد محسنًا بهما والخطاب لعموم الأفراد أي ليحسن كل لوالديه وذلك إنهما السبب الظاهر في وجود الولد ونموه بما بذلا من الجهد والطاقة في تربيته بكل رحمة وإخلاص)[1].

ومن الأخلاق العظيمة التي عني بها القرآن مراعاة ذوي القربى والإحسان إليهم إذ هم الرحم وهم أقرب الناس إلى المرء. قال تعالى:

(1) مختصر تفسير ج المنار 2/68-69.

﴿ **فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** ﴾ [الروم: 38]. وقال تعالى: ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى** ﴾ [البقرة: 177].

بل نجد الله سبحانه وتعالى يشرع للناس أن يتخلقوا بالأخلاق العظيمة مع الوالدين بالإحسان لهم وإعطاء الأقارب حقوقهم ومراعاة اليتيم بالعطف عليه ومساعدته وإنقاذه مما هو فيه بسد جوعه وكسو جلده وكفه عن التردد على الناس بتلمس حاجته إذ هو أخ فلابد للأخ أن يشعر بمصيبة أخيه، وكذلك المسكين لا يقل عن حال الفقير إذ هما في العوز سواء.

يوصي الحق سبحانه أن يتخلق المرء مع جاره القريب وغير القريب بالخلق فيُسأل عنه ويزوره ويعوده أن يتعامل المرء مع الصاحب بالأخلاق الحسنة من القول الطيب والإحسان إليه بكل ما هو إحسان وبكل ما يكون سببًا في دوام الصحبة.

ويوصى أن يتخلق المرء مع ابن السبيل وهو من انقطعت به السبل فصار في غربة إن احتاج إلى مال أُعطي وإن احتاج لدلالة دل وإن احتاج إلى ضيافة أكرم.

ويوصى بما ملكت يمين المرء من آدميين أن يعاملوا المعاملة الحسنة فلا يقصر عليهم في أمر ولا يكلفهم في شيء لا يقدرون عليه.

قال تعالى: ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [النساء: 36].

على المرء أن يكون في تعامله مع إخوانه المؤمنين ذا خلق عظيم فلا سخرية ولا تنابز ولا لمز ولا غمز لأن هذه ليست من أخلاق المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات: 11].

قال ابن سعدي رحمه الله تعالى: ﴿ **لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ** ﴾ بكل كلام وقول وفعل دال على تحقير الأخ المسلم فإن ذلك حرام لا يجوز وهو دال على إعجاب الساخر بنفسه وعسى أن يكون المسخور به خيرًا من الساخر وهو الغالب والواقع فإن السخرية لا تقع من قلب ممتلئ من مساوئ الأخلاق متحل بكل خلق ذميم متخل من كل خلق كريم ولهذا قال النبي ﷺ: «بحسب أمرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم».

ثم قال: ﴿ **وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ** ﴾ أي: لا يعب بعضكم على بعض واللمز بالقول والهمز بالفعل وكلاهما منهي عنه حرام متوعد عليه النار كما قال تعالى: ﴿ **وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ** ﴾ [الهمزة: 1].

وسمى الأخ المسلم نفسه لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هذا حالهم كالجسد الواحد. ولأنه إذا همز غيره أوجب للغير أن يهمزه فيكون هو المتسبب لذلك.

﴿ **وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ** ﴾ أي: لا يعير أحدكم أخاه ويلقبه بلقب يكره أن يقال فيه، وهذا هو التنابز وأما الألقاب غير المذمومة فلا تدخل في هذا.

﴿ **بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ** ﴾ أي: بئسما تبدلتم عن الإيمان والعمل بشرائعه وما يقتضيه بالإعراض عن أوامره ونواهيه باسم الفسوق والعصيان الذي هو التنابز بالألقاب.

﴿ **وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ وهذا هو الواجب على العبد أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم باستحلاله والاستغفار والمدح مقابلة على ذمه(1).

---

(1) تسير الكريم الرحمن ج72/5-73.

وإن مما ينبغي أن يتخلق به المرء المسلم أن يقابل السيئة بالحسنة وأن يدفعها بكل ما يمكن أن تندفع به.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ [فصلت: 34].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه كما قال عمر ﷺ ما عقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.).

وقوله – عز وجل –: ﴿ **فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ** ﴾ وهو الصديق أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك ثم قال – عز وجل –: ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا** ﴾ [فصلت: 35] أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس ﴿ **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ** ﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشياطين وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم[1].

ومما جاء في القرآن التأدب في الخطاب والعفو عن الإساءة بالقول أو الفعل وترك المن بالعطية لأنها أخلاق غير مرضية. قال تعالى: ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: 263].

ومن أوصاف المؤمنين المتحلين بالأخلاق العظيمة أنهم يغلظون على الكفار ويتراحمون بينهم وهذه هي سمة العقيدة إذا وقرت في القلب.

قال تعالى: ﴿ **أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: 29].

وقال تعالى: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة: 53].

(هذه صفات المؤمنين أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه متعززًا على خصمه وعدوه)[2].

---

(1) تفسير ابن كثير ج101/4.

(2) تفسير ابن كثير ج70/2.

وأن الإيمان ليؤثر في القلوب حتى تتراحم بل لا تقف عند هذا الحد حتى يفيض هذا التراحم فيصل إلى الآخرين.

قال تعالى: ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾ [البلد: 17].

* * *

السنة المطهرة وعنايتها بالأخلاق

لقد عنيت السنة المطهرة بالأخلاق عناية عظيمة يتضح ذلك م خلال أحاديث المصطفى ﷺ فهي توضح مكانة الخلق في الشريعة الإسلامية حاثةً على التمسك به.

ولما للخلق الحسن من مكانة عظيمة جعله رسول الهدى ﷺ أفضل شيء في ميزان العبد يوم القيامة بل درجته توازي الصائم المصلي وفي

المقابل أخبر أن الله يكره الخلق غير السوي كالفحش والبذاءة لأنها أخلاق لا تليق بمؤمن يسجد لله ويرجو الله. إذ من لوازم الإيمان التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات النبيلة التي يحبها الله.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وأن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة»(1).

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذيء»(2).

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»(3).

(أي قائم الليل في الطاعة وإنما أعطى صاحب الخلق الحسن هذا الفضل لأن الصائم والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظهما، وأما من يحسن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في

---

(1) الترمذي 2003.
(2) أبو داو 799 والترمذي 2002 وأحمد (60-90).
(3) أبو داود 4798.

الدرجة بل ربما زاد)[1] وفي الرواية: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار»[2].

وعن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه وكرم طبيعته»[3].

بل إن خير ما أعطي الإنسان خلق حسن أدبه يكون التعامل مع الآخرين مما يكون محصلته التفاهم المبني على الود والمحبة بين أبناء جنسه وهذا في حد ذاته يسعد النفس ويفرحها ويبني لها جسرًا من العلاقة الطيبة عند ذلك يتحقق لها تلك الخيرية التي ذكرها الرسول ﷺ حين سئل: «ما خير ما أُعطي الإنسان؟ قال خلق حسن»[4].

وقال عبد الله بن عمر (أربع خلال إذا أعطيتهن فلا يضرك ما عزل عنك من الدنيا حسن خلقه وعفاف طعمه وصدق حديث، وحفظ أمانة)[5].

بل نجد أن خيرية المرء وكمال إيمانه تكمن في إحسانه إلى الخلق والزوجة.

---

(1) تحفة الأحوذي ج7-107/13.
(2) الترمذي الحديث رقم 2002.
(3) أحمد الحديث رقم 6649.
(4) ابن حبان الحديث رقم 6061.
(5) فضل الحمد في توضيح الأدب المفرد 333.

وإن (من المقاييس التي نبه الرسول ﷺ لمعرفة خيار القوم معاملة الرجل لنسائه فمن كانت معاملته للنساء حسنة كان من خير القوم ومن لم تكن معاملته كذلك لم يكن من خيارهم بل إما أن يكون من حشو الناس، وإما أن يكون من شرارهم)[1].

(إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله)[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم»[3]. وقال: «إن خياركم أحسنكم أخلاقًا»[4].

وقال حينما سئل عن أي المؤمنين أكمل إيمانًا؟ «قال أحسنهم خلقًا»[5].

فضل عظيم وطريق مستقيم أن يسعى المرء في استكمال الإيمان وجعله في الذروة بالتعامل الحسن مع الخلق.

وإن من الأمور الجامعة للأخلاق ما جاء في حديث رسول الله ﷺ حينما سأله نواس بن سمعان رضي الله عنه قال فسألته عن البر والإثم فقال

---

(1) الأخلاق الإسلامية وأسسها ج(65/2).
(2) الترمذي الحديث رقم 1162.
(3) الترمذي الحديث رقم 2612.
(4) البخاري مع الفتح الحديث رقم 6035.
(5) سنن الدارمي الحديث رقم 2792.

رسول الله ﷺ: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[1].

(قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة حسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق ومعنى حاك في صدرك أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك والخوف كونه ذنبًا) [2].

والمؤمن بعيد عن الشر لا يبحث عنه لكرم خلقه وحسن عشرته وطيب سجاياه بعكس الفاجر فهو للشر باحث لا يحسن العشرة ولا يقيل العثرة.

قال ﷺ: «المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم»[3].

(ومعنى هذا الكلام: أن المؤمن المحمود هو من كان طبعه وشيمته الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وإن ذلك ليس منه جهلًا لكنه كرم وحسن خلق، وإن الفاجر من كانت عادته الخب والدهاء والوغول في معرفة الشر وليس ذلك منه عقلًا لكنه خب ولؤم) [4].

وإن المؤمن لا يستطيع أن يسع الناس بماله مهما بلغ ولكن بسط

---

(1) شرح مسلم.
(2) شرح النووي على مسلم ج16/111.
(3) الترمذي الحديث رقم 1316.
(4) معالم السنن للخطابي ج4/101.

الوجه والبشاشة والأخلاق الحسنة مقدور عليها لمن وفقه الله: (إنكم لـن تسعوا النـاس بأموالكم ولكـن يسعهم منكم بسـط الوجه وحسـن الخلق) [(1)].

بـل نجـد أن الخلـق الحسن له مكانـة عظيمـة إذا عمـل بـه المرء حيـث يرفعه إلى مرتبة عظيمة وهي محبة الله له فيا له من شرف عظيم وكرم جزيل يعطيه الله لذلك العبد العامل بتلك السجايا الكريمة.

عـن أسـامة بـن شـريك قـال: (كـنـا جلوسًـا عنـد النبـي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه أناس فقالوا من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم خلقًا»[(2)].

بل حتى رسول الهدى ﷺ يحبه ويكون قريبًا من مجلسه يوم القيامة يا له من شرف عظيم أن يحبك الرسول الكريم ويقربك من مجلسه.

عـن عبـد الله بـن عمـرو: سمعـت رسـول الله ﷺ يقـول: «ألا أخـبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة فأعادها مرتين أو ثلاث». قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «أحسنكم خلقًا»[(3)]. وفي المقابل قال – عليه الصلاة والسلام – محذرًا من الخلق السيئ: «وإنما أبغضكم

---

(1) م/ إسحاق بن راهويه 536 والمستدرك على الصحيحين 428.

(2) الطبراني.

(3) أحمد الحديث رقم 6735.

إلي وأبعدكم مني في الآخرة مساويكم أخلاقًا – الثرثارون، المتفيهقون، المتشدقون»[1].

وإن من موجبات الغفران ودخول الجنان والصعود إلى أعلى الدرجات هناك في الآخرة عند مقابلة الرحمن العمل بالتقوى وتحسين الأخلاق وإن من موجبات الخذلان والدنو في الدرجات البعد عن التقوى وترك تحسين الأخلاق.

عن أبي هريرة ﷺ قال سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال: «الفم والفرج»[2].

وعن أنس قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة جهنم»[3].

بل نجد الرسول ﷺ يدلنا على الطريق الذي متى ما سلكناه حصلنا على خير الأخلاق من العفو عن الظالم والعطاء لمن احتاج والوصل

---

(1) أحمد الحديث رقم 17767 وحسنه الألباني 791.
(2) أحمد الحديث رقم 9085 – م/1050 والمستدرك على الصحيحين الحديث رقم 7919.
(3) الطبراني.

لمن قطع (ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة من عفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه)[1].

وقال: «ابتغوا الرفعة عند الله» قالوا: وما هي يا رسول الله؟. قال: «تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك»[2].

وقد اعتنى الإسلام بالأخلاق وحث عليها وجعلها من المعالي وبغض إلى أتباعه سفاسف الأمور لأن المؤمن بإيمانه يعلو ويشمخ وإن من العلو عن السفاسف التخلق بالأخلاق العظيمة التي أمر بها رسول الله ﷺ حيث قال: «إن الله كريم يحب الكرم ومعالي الأخلاق ويكره سفاسفها»[3].

(إن الله تعالى كريم يحب الكرماء جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها»[4].

(السفساف الأمر الحقير والردئ من كل شيء ضد المعالي والمكارم)[5].

(1) الدر المنثور ج3/54 وكنز العمال الحديث رقم 33221.
(2) كنز العمال الحديث رقم 29311.
(3) الطبراني في الكبير ج1/174.
(4) الجامع الكبير ج1/174 والصغير الحديث رقم 1771.
(5) الآداب الشرعية 2/208.

فليكن المؤمن حريصًا على اكتساب الخلق الحسن مجاهدًا نفسه ومروضًا لها حتى يصبح لها سجية وعليه أن يردد دعاء الرسول الكريم ﷺ.

«اللهم اهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت»[1].

وقوله: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي»[2].

وقوله: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»[3].

* * *

العقيدة وبناء الأخلاق

نجد أن علاقة العقيدة ببناء الأخلاق علاقة قوية وحميمة إذ من المقرر في الإسلام أن كل أموره المشروعة لا تقوم إا على أصل الإيمان بالله فإذا انتفى الإيمان انتفى العمل ومن ذلك الأخلاق فهي لا تقوم إلا

---

(1) مسلم والترمذي.

(2) أحمد ج6/68.

(3) الترمذي الحديث رقم 3591.

على أصل العقيدة أي منبثقة منها فيكون العمل بالأخلاق من أجل الله عند ذلك تكون الأخلاق من مقتضى الإيمان ومكملاته.

لذلك نجد في القرآن الكريم العلاقة واضحة بين العقيدة والأخلاق (فعندما يطالب القرآن أتباعه بالعدل، يذكر قبل الطلب وصف الإيمان للإشارة إلى أن الإيمان يقتضي العدل فيقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة: 8].

وعندما يأمر الإسلام بالصدق يقول القرآن: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة: 119][1].

وهناك آيات كثيرة توضح هذه العلاقة العظيمة بين الإيمان والأخلاق، فحينما يأمر بالقول السديد يربط بينه وبين الإيمان يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** ﴾ [الأحزاب: 70].

---

(1) أخلاقنا 37.

وحين يأمر المؤمن أن يجتنب الظن السيئ والغيبة بينها وبين الإيمان إذ من مقتضى الإيمان ترك تلك الأخلاق السيئة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا** ﴾ [الحجرات: 12].

ويبين الرسول العظيم في كثير من أحاديثه هذه العلاقة القوية بين العقيدة والأخلاق فحينما يقسم الرسول ﷺ إن الإيمان لا يكون في قلب العبد وهو لا يأمن جاره وجاره لا يأمنه فيه دليل واضح في الربط بين العقيدة والأخلاق لأن من كمال الإيمان أن يكون المؤمن على خلق كريم مع جاره يأمنه يتفقده يسأل عنه يزوره ويعوده إذا مرض.

عن سعيد عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل ومن يا رسول الله. قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»(1).

وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»(2).

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «ليس بمؤمن من يشبع وجاره إلى جنبه طاوٍ»(3).

---

(1) البخاري الحديث رقم 6012.
(2) مسلم كتاب الإيمان 76.
(3) الأدب المفرد 112.

إن من كمال الإيمان أن يترك العبد الكذب في المزاح ويترك المراء ولو كان صادقًا لأن ذلك ليس من أخلاق المؤمن العامل لله سبحانه وتعالى. قال – عليه الصلاة والسلام –: «لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب من المزاحة ويترك المراء وإن كان صادقًا»[1].

ومن كمال الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه من الخير بل للناس، قال – عليه الصلاة والسلام –: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير»[2]. وقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[3]. وقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب للناس ما يحب لنفسه وحتى يحب المرء لا يحبه إلا لله – عز وجل –»[4].

وقد ربط الرسول العظيم ﷺ بين الإيمان والحياء، إذ من المعلوم أن الحياء خلق عظيم إذا وقر في القلب أنتج سلوكًا قويمًا. «دعه فإن الحياء من الإيمان»[5]. «إن الحياء لا يأتي إلا بخير». «الحياء كله خير»[6]. «الحياء والإيمان قرنًا جميعًا فإذا رُفع أحدهما رفع الآخر»[1].

---

(1) م/أحمد ج352/2، ج206/3
(2) البخاري ج14/1.
(3) جامع العلوم والحكم 103.
(4) م/ أحمد الحديث رقم 13902.
(5) البخاري ج13/1.
(6) البخاري باب 77 الأدب ومسلم 60-61.

وقال: «الحياء شعبة من شعب الإيمان ولا إيمان لمن لا حياء له...»[2].

ومن كمال الإيمان أن يكون المرء المسلم رحيمًا للصغير والكبير عارفًا لكل واحد منهما حقه. إذ الرحمة معهما تدل على خلق عظيم نابع من إيمان صادق «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا»[3]. وقال ﷺ: «من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم»[4].

ومن كمال الإيمان أن يكون المؤمن صابرًا راضيًا بقدر الله فلا يتبرم ولا يتسخط بل يسلم ويرضى هذا التسليم خلق عظيم، منبعه الإيمان بالله مما يدل على ارتباط الإيمان بالأخلاق.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»[5].

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[6].

---

(1) شعب الإيمان الحديث رقم 7727.

(2) مسلم الحديث رقم 57-58 وأحمد ج414/2.

(3) الترمذي الحديث رقم 4843.

(4) الأدب المفرد 357.

(5) البخاري مع الفتح ج163/3- الحديث رقم 1294.

(6) مسلم كتاب الزهد والرقائق الحديث رقم 2999.

عن عمرو بن عبسة قال قلت يا رسول الله: ما الإيمان؟. قال: «الصبر والسماحة» قلت: فأي الإيمان أفضل؟. قال: «خلق حسن».

وعن جابر بن عبد الله قال سئل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «الصبر والسماحة»[1].

وقد نهى الإسلام أن يكون بين المؤمن وأخيه تشاحن وهجران ذلك لأن العلاقة بينهم علاقة إيمانية فلا يحق لمن كان هذا حالهم أن يتهاجروا، لذلك جعل الرسول الكريم ﷺ من مقتضى الإيمان ترك الهجر فوق ثلاثة أيام: «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»[2].

بل حتى الكلام يجب أن يكون ضمن المنظومة الأخلاقية إذ من مقتضى الإيمان بالله أن يكون كلام الشخص طيبًا فلا فحش ولا لغو ولا سب ولا شتم لأن الإيمان يحتم عليه الانضباط ضمن أمر الشرع وحكمه قال – عليه الصلاة والسلام –: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[3].

---

(1) سلسلة الصحيحة الحديث رقم 554.
(2) مسلم الحديث رقم 2559.
(3) مسلم الحديث رقم 47.

قال ابن رجب عند هذا الحديث: (فقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» فليفعل كذا وكذا ويدل على أن هذه الخصال من خصال الإيمان) [1].

وقال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2].

وسئل – عليه الصلاة والسلام ما الإسلام؟. قال: «طيب الكلام وبذل السلام وإطعام الطعام»[3].

ومن كمال الإيمان أن لا يجتمع في قلب المؤمن إيمان وحسد وذلك لأن الحسد خلق سيء لا يصلح أن يخالط الإيمان.

قال – عليه الصلاة والسلام -: «لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله وقيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد»[4].

ومن كمال الإيمان أن يكون المرء كريمًا سخيًا لأن الإيمان والبخل لا ينبغي أن يجتمعا في قلب مؤمن. قال – عليه الصلاة والسلام -: «لا

(1) جامع العلوم والحكم ج333/1.
(2) مسلم ج63/1 والبخاري ج51/2.
(3) أحمد الحديث رقم 16672.
(4) ابن حبان الحديث رقم 4606.

يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد»[1] وقال – عليه الصلاة والسلام –: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[2].

وقد جاء في حديث الرسول ﷺ أن العبد لن ينال صريح الإيمان حتى يحقق أخلاقًا من الصلة والعفو والمغفرة والإحسان.

(لن ينال عبد صريح الإيمان حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويغفر لمن شتمه ويحسن إلى من أساء إليه)[3].

وإن من كمال الإيمان أن يبتعد المؤمن عن الأخلاق الدنيئة من زنا وشرب خمر وسرقة ولعن لأنها خصال تنقص الإيمان ولا تصلح للمؤمن. قال – عليه الصلاة والسلام –: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المؤمنون إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»[4].

---

(1) ابن جرير في تهذيبه وابن عدي في الكامل.

(2) البخاري الحديث رقم 6018 ومسلم 75-47.

(3) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا 30-22.

(4) البخاري الحديث رقم 2343 ومسلم الحديث رقم 57.

وإنما أراد – والله أعلم – «وهو مؤمن» مطلق الإيمان لكنه ناقص الإيمان بما ارتكب من الكبيرة وترك من الانزجار عنها ولا يوجب ذلك تكفيرًا بالله – عز وجل[1].

(إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان[2]).

وإننا نجد أن الأخلاق الحسنة من مكملات عقيدة المؤمن مما يدل على الارتباط الوثيق بينهما.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فجعل كمال الإيمان في كمال الخلق)[4]. وقد جعل الرسول ﷺ من تمام إسلام المرء ومن واجبات الإيمان وحقوقه وخصاله كف اليد واللسان وأداء الحقوق للآخرين في الدم والمال وهي قيم أخلاقية عظيمة مما يدل على ارتباطها بالإيمان.

---

(1) صحيح شعب الإيمان 83-84.
(2) صحيح سنن الترمذي الحديث رقم 2117.
(3) أبو داود ج5/6-4682، والدارمي الحديث رقم 2792، وأحمد ج2/250.
(4) الفتاوى ج5-370/10.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[1].

وزاد الترمذي والنسائي: «والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم».

(ولا يتم الإسلام حتى يحب للمسلمين ما يحب لنفسه ولا يتحقق ذلك إلا بسلامهم من شر لسانه وشر يده فإن هذا أصل هذا الفرض الذي عليه للمسلمين فمن لم يسلم المسلمون من لسانه أو يده كيف يكون قائمًا بالغرض الذي عليه لإخوانه المسلمين. فسلامتهم من شره القولي والفعلي عنوان على كمال إسلامه، وفسر المؤمن بأنه الذي يأمنه الناس على دمائهم وأموالهم فإن الإيمان إذا دار في القلب وامتلأ به أوجب لصاحبه القيام بحقوق الإيمان التي هي من أهمها رعاية الأمانات والصدق في المعاملات والورع عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم، ومن كان كذلك عرف الناس هذا منه وأمنوه على دمائهم وأموالهم ووثقوا به لما يعلمون منه من مراعاة الأمانات فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان)[2]. كما قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له». وقد ورد أن استقامة اللسان من خصال الإيمان. قال –

---

(1) الترمذي الحديث رقم 2627.

(2) بهجة قلوب الأبرار 18، والحديث في الشعب الحديث رقم 4354، وأحمد 154/3.

عليه الصلاة والسلام -: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». وقال: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه»[1].

وإن من كمال الإيمان وواجباته أن يكون المرء ذا لسان عفيف ومنطق نظيف لا يتكلم بالفحش والبذاءة فلا يلعن لأن إيمانه يوجب عليه أن يجانب هذه الأخلاق السيئة ويتخلق بالأخلاق الحسنة.

قال عليه الصلاة والسلام -: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[2].

وقال – عليه الصلاة والسلام -: «لا ينبغي للمؤمن أن يكون لعانًا». وفي رواية: «لا يكون المؤمن لعانًا»[3].

وإن من متممات الإسلام والإيمان التخلق بالأخلاق الحسنة مع المسلمين بترك الأذى لهم أيًا كان وعدم التعرض لهم بلمز أو غمز أو البحث والتقصي لعوراتهم لأن كل ذلك من الأخلاق السيئة التي لا تليق أن تكون في مؤمن.

---

(1) جامع العلوم والحكم ج334.

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة الحديث رقم 235 – الترمذي 2019 – أحمد الحديث رقم 366/2.

(3) الترمذي الحديث رقم 2019.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»[1].

وقد أدرك سلفنا الصالح رحمهم الله. مدى ارتباط العقيدة بالأخلاق وإن هذا الارتباط بينهما بمثابة الأساس والبناء لذلك عد هذا الجانب الأخلاقي من مكملات العقيدة العظيمة التي بها يتحلون وبها يتميزون عن غيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة): (ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون المنكر على ما توجبه الشريعة ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا، ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[2]. وشبك بين أصابعه وقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء ويدعون إلى مكارم الأخلاق

(1) الترمذي الحديث رقم 2032.
(2) البخاري الحديث رقم 88 ومسلم الحديث رقم 17 في البر والصلة.

ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[1]، ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها)[2].

وقد ذكر أبو عثمان الصابوني أن من عقيدة أهل السنة والجماعة، التخلق بالأخلاق الكريمة والسجايا العظيمة مما يدل على أنها منبثقة من عقيدتهم التي يدينون لله بها ويختلفون بها عن غيرهم من الطوائف المنحرفة. فهم يأمرون (بصلة الأرحام على اختلاف الحالات وإفشاء السلام وإطعام الطعام والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام والاهتمام بأمور المسلمين والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمصرف والسعي في الخيرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبدار إلى فعل الخيرات أجمع وإتقاء شر عاقبة الطمع ويتواصلون بالحق والصبر)[3].

(1) أبو داود كتاب السنة (16-4682) 60/5.
(2) العقيدة الواسطية 30.
(3) عقيدة السلف وأصحاب الحديث 86.

وقال ابن القيم رحمه الله: (حسن الخلق هو الدين كله وهو من حقائق الإيمان وشرائع الإسلام... وقال الدين كله خلق ومن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين)[1].

قال أبو العتاهية:

ليس دنيا بغير دين وليس الدين إلا مكـــــارم الأخـــــلاق[2]

وقد ذكر ابن هذيل أنواع الآداب فذكر منها أدب الإيمان (وأدب الإيمان ما جاء به الشرع من المحاسن المكملة في الأخلاق والأقوال والأفعال)[3] انظر كيف جعل تلك الأخلاق والأقوال والأفعال من الإيمان وسماها آدابًا إيمانية مما يدل على ارتباط أخلاقنا بعقيدتنا.

وإننا نجد أن بين العقيدة والأخلاق ترابطًا قويًا لا ينفصل عنها بحال.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ**

---

(1) مدارج السالكين ج2/306-307.

(2) بهجة المجالس ج2/600.

(3) عين الأدب والسياسة 120.

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: 151-153].

(ذلك هو الميثاق الأخلاقي الشامل الذي يلتزم به المؤمن إتباعًا لصراط الله المستقيم فهو إذن جزء من العقيدة مرتبط بها ارتباطًا أساسيًا لا ينفصل عنه بحال)[1].

ومما يدل على أن العقيدة والأخلاق بينهما علاقة قوية هو ما أن يستقر الإيمان في القلب حتى يثمر أخلاقًا عظيمة نابعة من ذلك الإيمان فتجد المؤمن للخيرات باذلًا وعلى المخلوقات مشفقًا راحمًا وعن الفواحش والمنكرات مباعدًا فهو للحقوق مؤدٍ يتبرأ قلبه من الأحقاد والأغلال ولسانه من الأقوال المخالفة للشرع.

قال ابن سعدي رحمه الله مبينًا ذلك أحسن بيان:

(ومن ثمرات الإيمان الصادق أن يقوي الرغبة في فعل الخيرات والتزود من الأعمال الصالحات ويدعو إلى الرحمة والشفقة على المخلوقات

(1) دراسات قرآنية 139.

وذلك بسبب داعي الإيمان وبما يحتسبه العبد عن الله من الثواب الجزيل.

(ومن ثمراته أيضًا أنه ينهى عن الشرور والفواحش كلها ما ظهر منها وما بطن ويحذر من كل خلق رذيل.. فهذه الأخلاق الحميدة هل يتوصل إليها بغير الإيمان وهل يعصم العبد من الانحلال الأخلاق المؤدية إلى الهلاك إلا الإيمان؟

وهل أودت بكثير من الخلق الأمور المادية والشهوات البهيمية والأخلاق السبعية. وهبطت بهم إلى الهلاك إلا حين فقدت روح الإيمان وهل تؤدي الأمانات والحقوق الواجبة بغير وازع الإيمان وهل تثبت القلوب عند المزعجات وتطمئن النفوس عند الكريهات إلا بعدة الإيمان وهل تقنع النفوس برزق الله وتتم لها الراحة والحياة الطيبة في هذه الدار إلا بقوة الإيمان وهل يتحقق العبد بالصدق في أقواله وأفعاله ومعاملاته ويكون أمينًا شريفًا معتبرًا عند الله وعند خلقه إلا بالإيمان فكل أساس تنبني عليه هذه الأمور الجليلة سوى الإيمان فهو منهار وكل رقي مادي لا يصحبه الإيمان فهو هبوط ودمار إلا وإن الإيمان يحمل العبد على الصبر على قضاء الله والشكر لنعم الله والشفقة على عباد الله والتخلق بكل خلق جميل والتخلي عن كل خلق رذيل... والمؤمن يكون متصفًا بصفة التواضع للخلق والحق.. سليم القلب من الغش والغل والحقد صدوق اللسان حسن المعاملة

وصفة الحلم والوقار والسكينة والصبر والرحمة والوفاء والثبات... فهذه الخصال الجميلة من عقائد صادقة وأخلاق راقية وآداب سامية هل يمكن أن يتصف بها إلا المؤمن حقًّا وهي من أكبر البراهين على أن الدين بعقائده وأخلاقه هو الدين الحق...)[1].

* * *

(1) الرياض الناضرة، 4-5-6-8-9 بتصرف.

العبادات وبناء الأخلاق

لقد عني الإسلام بالأخلاق عناية عظيمة فشرع العبادات وربط بينها وبين الخلق لكي ترقى بالمسلم إلى مراقي الكمال فهي ليست عبادة مجردة بل نجدها رافدًا من روافد الخلق إذ هي تنشئ في النفس أخلاقًا حسنة إذا أداها صاحبها على الوجه الصحيح، وفيما يلي نتعرف على الدور الكبير الذي تلعبه العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج في بناء الأخلاق:

أولًا: الصلاة:

فالصلاة قال تعالى عنها: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت: 45].

(فالفحشاء كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس والمنكر كل معصية تنكرها العقول والفطر ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أن العبد المقيم لها المتم لأركانها وشروطها وخشوعها يستنير قلبه ويتطهر فؤاده ويزداد إيمانه وتقوى رغبته في الخير وتقل أو تنعدم رغبته في الشر)[1].

ودليل ذلك قصة الفتى من الأنصار كان يصلي مع النبي ﷺ ولا يدع شيئًا من الفواحش والسرقة إلا ركبة فذكر للنبي ﷺ فقال: «إن الصلاة

---

(1) تفسير ابن سعدي ج63/4.

ستنهاه» فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله فقال رسول الله ﷺ: «ألم أقل لكم»[1].

وإننا نجد الصلاة حينما يؤديها صاحبها بخشوع فإنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر (وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة والصلاة تشغل كل بدن المصلي فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه وأنه مطلع عليه ويراه صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حاله)[2].

مما سبق يتضح أن الصلاة بنت في نفس المصلي عدة أخلاق: استنارة القلب وظهره وزيادة الإيمان والرغبة في الخير والبعد عن الشر والفواحش ومراقبة الله والخوف منه. فإذا خاف المرء من الله قصرت نفسه وجوارحه عن فعل المحرمات وتحركت نحو فعل المكرمات.

---

(1) ذكره النووي في تفسيره ج402/3، وأحمد ج447/2، والبزار 720 وصححه ابن حبان 2560.

(2) تفسير القرطبي ج308/3 – 309.

قال الله تعالى عن شعيب: ﴿ **قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء** ﴾ [هود: 87].

(والله تأمره وتنهاه)[1].

وفي الحديث القدسي: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصرًا على معصيتي وقطع نهاره في ذكري ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس. أكلؤه بعزتي وأستحفظه بملائكتي أجعل له في الظلمة نورًا وفي الجهالة حلمًا ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة»[2].

هكذا الصلاة يتقبلها الله إذا أديت كما أمر الله بها فإنها تثمر أخلاقًا عظيمة منها:

التواضع لله ولأن من تواضع بتحقيق العبودية له فلابد أن يتواضع لخلقه فلا يستطيل عليهم لا بقول ولا فعل.

ومنها ترك المعاصي وعدم الإصرار عليها لأن افتراق المعصية يدل على خلق غير مستقيم من المرء.

---

(1) ابن كثير ج414/3.

(2) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية 13.

ومنها الرحمة للمساكين وابن السبيل والأرملة والمصاب لأن من مقتضى إقامة الصلاة أن تكون متخلقًا بهذه الأخلاق العظيمة فالرحمة للمساكين خلق عظيم يثمر بين المسلمين المحبة والشفقة والمودة والوحدة ومساعدة ابن السبيل يدل على خلق كرم النفس وإشعاره بأن له في كل طريق وفي بلد إخوة يحبونه ويشعرون به، وتفقد الأرملة تضميد لما أصابها لأن في تفقدها إشعارًا لها بأن لها في مجتمعها من يعطف ويحنو عليها.

وفي رحمة المصاب تسكين لما أصابه من مصيبة وتعزية له على ما فقد هكذا المجتمع المسلم كالجسد الواحد.

ومن الملاحظ في عظم تشريع الصلاة أنها تؤدى في جماعة مما يشعر أنها تؤكد على المساواة وأن لا تمايز بين غني وفقير ولا أبيض ولا أسود. مما يكون حاصله الاتحاد والترابط وهذه في حد ذاتها قيم أخلاقية تثبتها الصلاة في روع المصلين ومن ثم تفيض على جوارحهم فيشعر الغني بالفقير ويحترم الأبيض الأسود ويرحم الكبير الصغير فيسأل بعضهم عن بعض إذا تفاقدوا.

هكذا الصلاة من شأنها أن تشيع المحبة والمودة بين فاعليها.

فهي في عمومها تبني في قلوب أصحابها أخلاقًا عظيمة لها قيمة في واقعهم فعلى المرء أن يحرص على أدائها على الوجه المطلوب والله خير مطلوب.

ثانيًا: الزكاة:

الزكاة من العبادات التي تبني جسور المودة بين أفراد المجتمع المسلم وتنشئ في النفوس صنوفًا من المحاب إذ هي صدقة لها مفعول التطهير والتزكية.

فإذا طهرت النفس وتزكت صلحت فكان صلاحها فيضًا تفيض به على أفراد ملتها. مما يكون له أبلغ الأثر في الترابط والتخلق بخلق المودة والمحبة والرأفة.

قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: 103].

في الآية أمر من الله لرسوله أن يأخذ الزكاة المفروضة من المؤمنين ليطهرهم بها من الأخلاق الرذيلة وينمي فيهم الأخلاق الكريمة.

﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً** ﴾ وهي الزكاة المفروضة.

﴿ **تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ أي: تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة.

﴿ **وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ أي: تنميهم وتزيد من أخلاقهم الحسنة...[1].

---

(1) تفسير ابن سعدي 283/2.

يقول صاحب المنار عن هذه الآية؛ (أي تطهرهم بها من دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء البائسين وما يتصل بذلك من الرذائل وتزكي أنفسهم بها أي تنميها وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية. حتى تكون أهلًا للسعادة الدنيوية والأخروية)[1].

وإننا نجد في إيجاب الزكاة فوائد عظيمة فهي معونة للفقراء وبها تمنع البغضاء والتقاطع والعداوات فهي للنفوس مهذبة وللسماحة دافعة وعن الشح مانعة وهذه كلها قيم أخلاقية بسببها تفيض، (فكان في إيجابها مواساة للفقراء ومعونة لذوي الحجات تكفهم عن البغضاء وتمنعهم من التقاطع وتبعثهم على التواصل لأن الأمل وصول والراجي هائب وإذا زال الأمل وانقطع الرجاء واشتدت الحاجة وقعت البغضاء بين ذوي الحاجات والأغنياء حتى تفضي إلى التغالب على الأموال والتغرير بالنفوس هذا مع ما في أداء الزكاة من تمرين النفس على السماحة المحمودة ومجانبة الشح المذموم لأن السماحة تبعث على أداء الحقوق والشح يصد عنها وما يبعث على أداء الحقوق فأجدر به حمدًا وما صدر عنها فأخلق به ذمًا...[2].

وإننا نجد الإسلام لم يحصر الصدقة في المال بل وسع النطاق لغرض ربط النفوس المسلمة بعضها ببعض فالابتسامة صدقة والأمر بالمعروف

---

(1) مختصر تفسير المنار 344/3.

(2) أدب الدنيا والدين 98.

والنهي عن المنكر صدقة والإرشاد للضال صدقة وإبعاد الأذى من طريق المارة صدقة ومساعدة الآخرين صدقة ودلالة الأعمى صدقة.

قال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة لك. وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وبصرك للرجل الردئ البصر لك صدقة»[1].

ثالثًا: الصيام:

الصيام من العبادات التي تجعل النفس تشعر بحال الآخرين. هذا الشعور هو المحرك لها نحوهم مودة ومحبة ومواساة وعطفًا.

وفي الصيام حرمان للنفس من النزوات المنكرة فلا قول زور ولا لغو ولا رفث.

هذا الحرمان حري به أن يهذب النفس ويطهرها مما يلحق بها من نزوات.

لذلك نجد أن مقصود الشرع من الصيام لأجل أن ينفذ إلى أعماق النفس فيطهرها وليس مراده الامتناع عن الطعام والشراب قال – عليه

---

(1) ابن حبان الحديث رقم 529.

الصلاة والسلام -: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[1].

وقال – عليه الصلاة والسلام -: «الصيام جنة إذا كان أحدكم صائمًا فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم»[2].

هكذا الصوم وقاية ومانع من المعاصي إذا أدى على وفق ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو يقيه من ارتكاب ما يعيب من تلك الأخلاق الرذيلة فهو يحجزه عن الرفث وعن الكلام الفاحش الذي لا ينبغي لمؤمن أن يتلفظ به لأنه متصل بالله في حالة كونه تاركًا للشراب والطعام من أجله فمن كان هذا حاله فلا يصلح له أن يكون فاحشًا، ويحجزه عن الجهل وهو السفه وعن التعدي على الآخرين بالفعل أو اللسان فإذا ما اعتدى عليه شخص بالفعل أو الشتم ما عليه إلا أن يذكره أنه صائم لأن هذا التذكير سوف يوقفهما فلا يتعدى أحد على الآخر لأن الصوم يحجز عن القول البذيء وعن أن يقابل كل واحد منهما الآخر بفاحش القول هكذا نرى الصوم رافدًا من روافد الأخلاق العظيمة.

---

(1) البخاري الحديث رقم 1075.

(2) أبو داوود الحديث رقم 2363.

وأننا نجد في تشريع الصوم من الأسرار والفوائد العظيمة الحاثة على التخلق بالأخلاق الكريمة الشيء الكثير (أعظمها كونه موجبًا لسكون النفس الأمارة بالسوء وكسر سورتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج فإنه به تضعف حركة كل تلك في محسوساته ولذا قيل: إذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء، فإذا شبعت جاعت كلها وعلى هذا يترتب صفاء القلب من الكدر فإن الموجب لكدوراته فضول اللسان والعين وباقي الجوارح وبصفاته تناط المصالح والدرجات)[1].

ومن أسرار تشريعه أنه موجب للرحمة والعطف على الفقراء وتفقد أحوالهم وفيه بناء خلق الأمانة والحياء كل ذلك أخلاق عظيمة منبعها الصيام مما يدل على عظم تشريعه كونه (موجبًا للرحمة والعطف على الفقراء والمساكين فإذا ذاق الغني ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا حاله في جميع الأوقات فتسارع إليه الرقة والرحمة عليه يعطف عليه ويمد يد العون والمساعدة إليه فيدفع الفاقة والحاجة عنه بالإحسان إليه، فينال بذلك عند الله تعالى المثوبة وحسن الجزاء.. والصيام سبب للمحافظة على الأمانة وعدم تضييعها وذلك أن من أمسك عن الطعام والشراب وكل مفطر طوال النهار فقد التزم بالأمانة التي أودعها الله إياه فإذا ما خلا الإنسان بنفسه في مكان منفرد وقد بلغ

(1) إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين.

به الجوع والظمأ ما بلغ وأطاع نفسه الأمارة بالسوء بالأكل والشراب حيث لا رقيب في الحس عليه فقد خان الأمانة وحقت عليه كلمة العذاب... وقد صرح الحديث النبوي الشريف بأن الصوم أمانة في قوله ﷺ: «إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته»[1].

وفي الصيام (مراقبة الله تعالى والحياء منه فإنك كلما اشتهيت شيئًا وأنت صائم تركته لله – عز وجل – فتتربى فيك ملكة المراقبة لله – جل وعلا – ويقوى فيك الإحساس بعظم ألوهية وملاحظة إطلاعه عليك لو تملكت هذه المراقبة نفوس الناس جميعًا لما وجد شيء من الجرائم ولما استبعد القوي الضعيف ولأصبحت الدنيا تماثل الفردوس في هنائها وصفائها وطهارة القلوب فيها[2].

هكذا وضح جليًا أن الصوم يبني في النفوس صنوفًا من الأخلاق الكريمة العظيمة.

رابعًا: الحج:

الحج عبادة من أعظم العبادات تتجلى فيها العبودية المجردة لله. وتتجلى فيها معاني الأخوة الصادقة حيث يجتمع فيها الناس من كل

(1) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود وإسناده حسن فإنه قاله العراقي في تخريج الأحياء كما في الإتحاف.

(2) من حكم الشريعة وأسرارها 103-104 بتصرف.

بلد فأجناسهم متغايرة وألوانهم متغايرة ولكن يجمعهم رابط العقيدة العظيم.

ولما كان الحج يحتاج فيه إلى اجتماع بالرفقة والسفر معها ولما قد يحصل هناك مما يكون منافيًا للأخلاق الكريمة التي ينبغي أن تكون بين المجتمعين وما يحدثه السفر من مشاق يكون معكوسًا على النفوس فيحدث لها ضيق لذلك نبه الله على من أراد الحج أن يتخلق بأخلاق الإسلام. قال تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ** ﴾ [البقرة: 197].

لذلك كان جزاء من حج وترك المعاصي والمناقشات والجدال المفضي إلى الإغضاب بين المتناقشين وهذه كلها أخلاق مرذولة، أن يرجع من حجه كيوم ولدته أمه.

قال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه»[1].

هكذا الحج عبودية لله. وتدريب على أخلاق عظيمة يحتاجها المرء في حياته مع بني جنسه حتى تكون الحياة طيبة كريمة يسودها الحب وتشع فيها المودة.

* * *

---

(1) مسلم الحديث رقم 1350.

السلف وبناء الأخلاق

أما حال سلفنا رحمهم الله فقد كان لديهم اهتمام كبير في هذا الحديث فهم يدعون إلى الأخلاق ويبنونها في أنفسهم بالحال والمقال. وقد كثرت النصوص التي نقلت إلينا منهم في هذا الجانب مما يوضح ويجلي هذا الاهتمام كيف لا يكون ذلك وقد تعلموا من رسولهم الكريم «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»(1) وأدركوا أن بالأخلاق يثقل الميزان يوم القيامة وبالأخلاق يدرك المرء الخيرية وبالأخلاق يقرب العبد من الرسول يوم القيامة.

لأجل ذلك جاءت العناية بالأخلاق في أقوالهم وأفعالهم في آدابهم وأشعارهم وعلى منابرهم وفي مجالسهم ومدارسهم... وإليك طرفًا من ذلك:

1- (عن الأحنف قال: قال لي عمر بن الخطاب ﷺ يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استُخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه)(2).

2- (وعن وديعة الأنصاري قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول وهو يعظ رجلًا: لا تكلم فيما لا يعنيك واعرف عدوك واحذر

(1) أبو داود الحديث رقم 4682.

(2) صفة الصفوة ج127/1.

صديقك إلا الأمين ولا الأمين إلا من يخشى الله ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاوره في أمرك إلا الذين يخشون الله – عز وجل –)[1].

3- عن عنبس بن عقبة قال: قال عبد الله بن مسعود: (والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان) [2].

4- (عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: لا تكونن إمعة. قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت ألا ليوطنن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر).

5- (أوصى رجل ابنه فقال له: يا بني إذا كنت في قوم فدار بينهم تدبير فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ما عندهم ولا تتكبر عن متابعتهم إذا ظهر لك الحق فإن المتابعة على الصواب أحسن من الابتداء بالخطأ. واعلم يا بني أن إصابتك الرأي بعد خطأ القوم أحمد لك من إصابتك قبل كلامهم فإنه لا يعرف فضل رأيك على غيره إلا بعد المعرفة بما عندهم فعند ذلك يستبين القول السديد من السفيه

---

(1) صفة الصفوة ج127/1.

(2) صفة الصفوة ج192/1.

والرأي الرشيد من الكريه ومن استقبل وجوه الأمراء علم مواضع الخطأ)[1].

6- قال عمر بن الخطاب ﷺ : (من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك) [2].

7- قال علي للعباس رضي الله عنهما: (ما بقي من كرم أخلاقك؟ قال: الإفضال على الإخوان، وترك أذى الجيران)[3].

قال الشاعر:

نزلــت علــى أل المهلــب شــاتيًا غريبًــا عــن الأوطــان في زمــن محــل

فمــازال بي إكــرامهم وافتقــارهم وبــرهم حــتى حســبتهم أهلــي[4]

قال عمر بن الخطاب ﷺ : (من أدى الأمانة وكف عن أعراض المسلمين فهو الرجل)[5].

10- وقع بين سعد وخالد كلام. فذهب رجل يقع في خالد عند سعد فقال سعد: (مع إن ما بيننا لم يبلغ ديننا)[6].

(1) عين الأدب والسياسة 266.
(2) بهجة المجالس ج292/1.
(3) بهجة المجالس ج292/1.
(4) بهجة المجالس ج294/1.
(5) بهجة المجالس ج397/1.
(6) بهجة المجالس ج397/1.

قال الشاعر:

احذر الغيبة فهي الفسق لا رخصة فيه إنما المغتاب كالآكل من لحم أخيه[1]

11- أراد المنصور خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن فقال له جعفر بن محمد: (يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف قدر فغفر وقد جعلك الله من قبل الذين يعفون ويصفحون فطفئ غضبه وسكت)[2].

12- قال ابن مسعود ﷺ : (لا تعادوا نعم الله – عز وجل – قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)[3].

13- قال الحسن البصري: ليس أحد من خلق الله إلا وقد جُعل معه الحسد ومن لم يجاوز ذلك إلى البغض والظلم لم يتبعه من شيء[4].

14- قال مالك بن دينار: كيف يتيه من أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك حامل عذرة.

---

(1) بهجة المجالس ج398/1.

(2) بهجة المجالس ج376/1.

(3) بهجة المجالس ج407/1.

(4) بهجة المجالس ج407/1.

أخذه أبو العتاهية فقال:

مـا بال مـن أولـه نطفـة وجيفـة آخـره يفخـر

أصبح لا يملـك تقـديم مـا يرجـو ولا تأخـير مـا يحـذر

وأصـبر الأمـر إلى غـيره في كل ما يقضي وما يقدر[1]

15- قال بعض الحكماء: (من استطاع أن يمنع نفسه أربعًا كان جديرًا ألا ينزل به مكروه: العجلة، واللجاجة، والتواني، والعجب) [2].

16- قال ابن مسعود ﷺ : (إن من التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس وأن تسلم على من لقيت)[3].

17- قال علي ﷺ : (شرط الصحبة إقالة العثرة ومسامحة العشرة والمواساة في العسرة). كان يقال من رضي من الناس بالمسامحة طال استمتاعه بهم؛ قال أكثم بن صيفي: من تشدد فرق، ومن تراخى تألف، والسرور في التغافل)[4].

(1) بهجة المجالس ج440/2.
(2) بهجة المجالس ج443/2.
(3) بهجة المجالس ج446/2.
(4) بهجة المجالس ج664/2.

18- قال الحسن: (مكارم الأخلاق للمؤمن قوة في لين وحزم في دين وإيمان في يقين وحرص على العلم واقتصاد في النفقة وبذل في السعة وقناعة في الفاقة ورحمة لمجهود وإعطاء في حق وبر في استقامة)[1].

19- دخل أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي ﷺ على عمر بن عبد العزيز ﷺ وقد ولاه فقال له أبو جعفر: أوصني فقال: (أوصيك بثلاث: أن تتخذ صغير المسلمين ولدًا، وأوسطهم أخًا، وأكبرهم أبًا. وصل أخاك وبر والدك وإذا صنعت معروفًا فر به) [2].

20- قالت أعرابية لابنها: (يا بني عليك بحسن الخلق وجميل العشرة ولطف الموافقة ولين الجانب والاحتمال للصاحب وكف الأذى والمقاسمة في الضراء فإنك تستميل القلوب وتنال كل مرغوب يحفظك علام العيوب)[3].

21- قال بعض الحكماء: (ذللوا أخلاقكم للمحاسن وقودوها إلى المحامد وعلموها المكارم وعودوها الجميل واصبروا على الإيثار على أنفسكم وتكرموا بالغنى عن الاستقصاء وعظموا أقداركم بالتفاضل عن دنيء الأمور وأمسكوا رمق الضعيف بالمعونة وصلوا من رغب إليكم بجاهكم إن لم يكن بمالكم ولا تقيموا على خلق تذمونه من

---

(1) بهجة المجالس ج601/2.
(2) عين الأدب والسياسة 250.
(3) عين الأدب والسياسة 256.

غيركم وأصلحوا ما بدر منكم ولو بالتخلق إن لم تكن حشمة وإياكم من الكبر فإنه رأس المقت وثوب البغضة عند الله والناس)[1].

22- وقال بعضهم: (أكثر من مخالطة أهل الأدب فإن صلاح الأخلاق وفسادها كثيرًا ما يكون على قدر أخلاق الذين تطيل صحبتهم وتواظب على معاشرتهم وكثيرًا ما يفسد الطبع الحسن معاشرة أهل الجهل والريب. فانظر من تصحبه فإنك موسوم بسيما من صحبت فتحفظ من دخلاء السوء وأظهر مجانبة أهل الريب وإذا نظرت فيمن ترتاد لإخائك فإن كان من أهل الدين فليكن فقيهًا غير مراء ولا حريص وإن كان من إخوان الدنيا فليكن حييًا غير جاهل ولا كذاب ولا شرير فإن الجاهل أهل أن يفر عنه أبواه وإن الكذاب لا يصدق في مودته وإن الشرير إن سلمت من شره أكسبك شر غيره)[2].

23- (يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش من غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك.. يا بني إن من يَرحم يُرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر ومن لا يملك لسانه يندم)[3].

---

(1) عين الأدب والسياسة 257.

(2) عين الأدب والسياسة 258.

(3) عين الأدب والسياسة 259.

24- وأوصى عبد الملك بن مروان بنيه فقال: (يا بني كفوا أذاكم وابذلوا معروفكم واعفوا إذا قدرتم لا تبخلوا إذا سئلتم ولا تحلفوا إذا سئلتم فإنه من ضيق ضيق الله عليه، ومن أعطى أخلف الله عليه)[1].

25- قال الشعبي في وصية: (عليك بالصدق حيث تظن أنه يضرك فإنه ينفعك وإياك والكذب حيث ترى أن ينفعك فإنه يضرك واعلم أنه لا جُنَّة أوقى من الصدق ولا شيء أقوى من الحق ولا سبيل أخوف من الكذب ولا حادث أقبح من الزور وقد ينتج الله للصادق النجاة العظيمة وإن لم ينوها والخلاص من النازلة وإن لم يتوهمها)[2].

26- (يا بني لا تعب أحدًا بما يبدو لك من عيوبه فإذا هممت بذلك فاذكر عيوب نفسك فإنك ترى ما يشغلك عن عيوب الناس فإن عبت أحدًا بما فيه كان ذلك قبيحًا وأقبح منه أن تعيبه بما فيك وفي ذلك قال الشاعر[3]:

إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم
فلا عيب إلا دون ما منك يذكر
فإن عبت قومًا بالذي هو فيهم
فذلك عند الله والناس منكر
وإن عبت قومًا بالذي فيك مثله

(1) عين الأدب والسياسة 261.

(2) عين الأدب والسياسة 266.

(3) عين الأدب والسياسة 278.

فكيــف يعيــب العــور مــن هــو أعــور

يا بني: إياك وقرين السوء فإنما صلاح المرء بمقارنة الكرام وفسادها بمحادثة اللئام وإنما يعرف المرء بقرينه وخدينه. قال الشاعر[1]:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكــل قــرين بالمقــارن يقتــدي

27- (قال عمر بن عبد العزيز لمزاحم مولاه: إن الولاة جعلوا العيوب على العوام وأنا أجعلك عيني على نفسك فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها أو فعالًا لا تحبه فعظني عنده وأنهني عنه)[2].

28- عن العلاء بن زهير الأزدي عن وبره المسلي قال: (يا وبرة ألا أعلمك كلمات هي أحسن من الدهم الموقوفة يا وبره دع كثيرًا من الكلام فيما يعنيك فإن ذلك فضل فلست آمن عليك فيه الوزر ودع كثيرًا من الكلام فيما يعنيك حتى ترى لذلك موضعًا، فرب متكلم بالحق النقي قد تكلم في غير موضعه فيعنت، ولا تمار حليمًا أو سفيهًا فإن الحليم يقليك وإن السفيه يؤذيك واذكر أخاك إذا توارى عنك بمثل الذي تحب أن يذكرك به إذا تواريت عنه، فإن ذلك هو

---

(1) عين الأدب والسياسة 287.

(2) عيون الأخبار ج23/2.

العدل منك واعمل عمل من يعلم أنه مجازى بالإحسان ومأخوذ بالإجرام حسبك يا وبرة)[1].

29- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أربع إن أعطيتهن فلا يضرك ما عدل به عنك من الدنيا: حسن خليقة وعفاف طعمة وصدق حديث وحفظ أمانة)[2].

30- (كان بين سعيد بن العاص وقوم من أهل المدينة منازعة فلما ولاه معاوية ﷺ المدينة ترك المنازعة وقال ألا أنتصر لنفسي وأنا وال عليهم، قال ابن عقيل في الفنون، هذه والله مكارم الأخلاق)[3].

فمن هذا يتضح لنا حال السلف رحمهم الله في بناء الأخلاق والحث عليها والتخلق بها لأنهم أدركوا أنها طريق الكرامة والعز.

* * *

(1) التوبيخ والتنبيه 104.
(2) عيون الأخبار 27/3.
(3) الآداب الشرعية ج208/2.

كيف يتحقق الخلق الحسن؟

إن الناظر في الشريعة كتابًا وسنة يجد أنها تحث على مكارم الأخلاق وتأمر بها وترغب فيها بأساليب متنوعة، فالحب للآخرين طريق إلى تحقيق الخلق الحسن وكذلك العفو والرفق والعطاء وسماحة النفس وعلو الهمة... إلخ. فما على الإنسان المريد للخلق الحسن إلا أن يعمل على تحقيق ذلك في تعامله للخلق. وإليك ذلك على شكل نقاط مدعمة بالدليل.

أولًا: المحبة للآخرين:

حيثما يشعر المرء نحو الآخرين بالمحبة ينتج عن ذلك أمور عظيمة تكون سببًا في تحقيق الخلق الحسن معهم فالتعاون وإرادة الخير بهم ومشاركتهم في سرائهم وضرائهم ناتج من نواتج الحب وإن من شأن محبة الآخرين ذوبان ما يتدافع داخل النفس من الحسد والخبث والأثره والبغضاء والشحناء والغيبة والنميمة والظلم والعدوان لذلك جعل الإسلام هذا الحب قاعدة من قواعد التعامل مع الآخرين لإدراكه لقيمة الحب في حياة المرء والمجتمعات وما يترتب على ذلك من الصفاء والمودة بين المؤمنين.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

ونجد الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – وهو يقسم بالله أن دخول الجنة متعلق بالإيمان وأن الإيمان لا يكمل حتى يشيع الحب بين المؤمنين. قال – عليه الصلاة والسلام –: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم. افشوا السلام بينكم»[2].

وإن من المحبة للآخرين أن تعاشرهم معاشرة طيبة. قال الأصمعي (لما حضرت جدي علي بن أصمع الوفاة جمع بنيه فقال: يا بني عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم)[3].

أسباب جالبة للمحبة:

1- نشر أحاديث المحبة والمودة والألفة وتعويد النشء عليها حتى تألفها أسماعهم وتتشرب بها قلوبهم. (قال حكيم: إني لأكثر العجب ممن يعلم أولاده ذكر الحروب والضغائن ومن انتقم ووثب على صاحبه ولا يخطر ببالهم أمر المودة وأحاديث الألفة وما يحصل من الخيرات

(1) البخاري الحديث رقم 13، مسلم الحديث رقم 45.

(2) مسلم الحديث رقم 54- ابن حبان الحديث رقم 236.

(3) مكارم الأخلاق 3.

العامة لجميع الناس بالمحبة والأنس وأنه لا يستطيع أحد من الناس أن يعيش بغير المودة وإن مالت إليه الدنيا بجميع رغائبها)[1].

2- لزوم الخلق الحسن والبعد عن سوء الأخلاق من الأسباب الجالبة للمحبة. فعلى (العاقل أن يتحبب إلى الناس بلزوم الخلق الحسن وترك سوء الخلق لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد وأن الخلق السيئ ليفسد كما يفسد الخل والعسل وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها وخلق سيء فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الصالحة كلها.

حسن الخلق بذر اكتساب المحبة كما أن سوء الخلق بذر استجلاب البغضة.. والسبب الداعي إلى صد محبتهم له: هو التضايق في الأخلاق منه ودعوا بالهلاك عليه.. والاستثقال من الناس يكون سببه شيئين: أحدهما مقارفة المرء ما نهى الله عنه من المآثم لأن من تعدى حرمات الله أبغضه الله ومن أبغضه الله أبغضته الملائكة ثم يوضع له البغض في الأرض فلا يكاد أحد إلا استثقله وأبغضه.

السبب الآخر هو استعمال المرء من الخصال ما يكره الناس منه فإذا كان كذلك استحق الاستثقال منهم فالواجب على العاقل مجانبة الخصال التي تورثه استثقال الناس إياه وملازمة الخصال التي تؤديه إلى محبتهم إياه ومن أعظم ما يتوسل به إلى الناس ويستجلب به محبتهم

---

(1) جامع الآداب 47.

البذل لهم مما يملك من حُطام هذه الدنيا واحتماله عنهم ما يكون منهم من الأذى)[1].

3- الزهد مما في أيدي الناس مما يحبب إليك الناس. قال – عليه الصلاة والسلام –: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[2].

(لأننا إذا تركنا لهم ما أحبوه أحبونا، وقلوب أكثرهم مجبولة مطبوعة على حب الدنيا ومن نازع إنسانًا في محبوبة كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه قال الحسن البصري: لا يزال الرجل كريمًا على الناس ما لم يطمع فيما في أيديهم فحينئذ يستخفون به ويكرهون حديثه ويبغضونه وقال أعرابي لأهل البصرة من سيدكم؟ قالوا: الحسن قال بم سادكم؟ قال احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال: ما أحسن هذا)[3].

قال الشافعي:

فإن تجنبتها كنت سلمًا لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها[4]

(1) روضة العقلاء 64-69.

(2) سلسلة الأحاديث الصحيحة 944.

(3) الوافي شرح الأربعين 224.

(4) ديوان الشافعي 51.

4- الهدية لها دور عظيم في إنشاء المحبة في القلوب كما قال – عليه الصلاة والسلام – «تهادوا تحابوا»[1].

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها[2].

قال الشاعر:

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في الضمير هوى وودًا ويكسوهم إذا حضروا جمالاً[3]

ثانيًا: الرفق:

جاء الإسلام ليؤلف بين القلوب ويجمعها على الطاعة والعبادة لله وحده. فمن ذلك ما شرعه لتأليف القلوب وجمعها. والرفق فقد حث عليه ورتب عليه نتائج طيبة فالرفق ينمي المودة.

ولأن التعامل بالرفق بين الناس مؤداه صفاء الحياة وتلاين النفوس مع بعضها البعض فيحصل التوافق والانسجام والمودة فتكون العيشة الطيبة ويحصل الخلق الحسن بين المترافقين وهو هدف عظيم تسعى الشريعة لتحقيقه بين المنتسبين لها.

---

(1) الأدب المفرد 594.
(2) صحيح سنن أبي داود للألباني 302.
(3) بهجة المجالس ج1/282.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على سواه»[1].

وفي رواية: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله». ففي مقابل الأمر بالرفق جاء الأمر بترك العنف وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينتزع من شيء إلا شانه»[2].

وقال رتب الإسلام أن من يحرم الرفق يحرم الخير كله عن جرير بن عبد الله البجلي أن النبي ﷺ قال: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله»[3].

قال – عليه الصلاة والسلام –: «من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ومن منع حظه من الرفق فقد منع حظه من الخير»[4].

الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها إذ أن الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ومن منع الرفق منع الخير كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير ولا يكاد المرء يتمكن من

---

(1) مسلم 77-2593.
(2) مسلم 78-2594.
(3) مسلم 74-2592.
(4) البغوي 73/13، وأحمد 159/6.

بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة[1].

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليه فأشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فأرفق بهم»[2].

وقال: «ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل هين لين سهل»[3].

وعنه قال: «يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا»[4].

فمن خلال الأحاديث السابقة نجد أن الرفق من الأمور العظيمة التي يجب أن يعنى بها الدعاة ومعلمو الناس الخير لأن تفعيلها سبب في هدايتهم.

وإن في لزوم الرفق وترك العجلة دلالة على عقل الرجل فعلى (العاقل في الأوقات الاعتدال في الحالات لأن الزيادة على المقدار في المبتغى عيب كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ولا دليل أمهر من رفق كما لا ظهير أوثق من

---

(1) روضة العقلاء 215.
(2) مسلم الحديث رقم 1828.
(3) ابن حبان الحديث رقم 469.
(4) البخاري 27/1.

العقل ومن الرفق يكون الاحتراز وفي الاحتراز ترجى السلامة وفي ترك الرفق يكون الخرق وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة)[1].

ثالثًا: العطاء:

العطاء من الأمور التي ترقق القلوب وحينما يعطي المرء الآخرين فإنه بعطائه يملك قلوبهم ويشعرهم أنه جزء منهم فلا أنانية ولا أثرة ولا شح ولا تسلط ولا كراهية بل العكس الحب والرفق... عند ذلك يتحقق الخلق الحسن معهم لذلك رغب الإسلام في العطاء.

(عن عقبة بن الحارث قال صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر فسلم ثم قام مسرعًا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ففزع من سرعته فخرج عليهم فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته فقال: «ذكرت شيئًا من تبر عندنا. فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمه»[2].

وعن أسماء قالت: (قال رسول الله ﷺ: «أنفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك ارضخي ما استطعت وفي رواية ولا توكي فيوكى عليك»[3].

وعن أبي ذر قال انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: «هم الأخرسون ورب الكعبة». فقلت فداك أبي وأمي من

(1) روضة العقلاء 216.
(2) البخاري رقم 1430.
(3) رواه البخاري رقم 2450 ومسلم رقم 1029. وابن حبان رقم 3209.

هم؟. قال: «هم الأكثرون أموالًا إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم»[1].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»[2].

عن أنس: (أن رجلًا سأل النبي ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه إياها فأتى قومه قال أي قوم أسلموا، فوالله إن محمدًا يعطي عطاءً ما يخاف الفقر) [3].

قال شيخ الإسلام: (الإحسان إلى الغير تمام المحاسن)[4].

إن من شأن الكريم المعطاء أن يحبه الناس لأن الكرم يحقق للناس، مع بعضهم البعض الألفة والمحبة والمودة أما الشح فهو يعود على منع الخير فيحصل به الفساد فإذا منع الخير بين الناس ضعف التعامل بينهم ومن ثم لا أخلاق ولا تواصل ولا محبة ولا احترام فيكون الظلم والقطيعة.

---

(1) البخاري رقم 626.
(2) رواه البخاري رقم 1374. ومسلم رقم 1010.
(3) رواه مسلم رقم 2312.
(4) مكارم الأخلاق 97.

لذلك حذر الرسول ﷺ من الشح: «إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»(1).

وكان عبد الرحمن بن عوف يكثر من الدعاء في طوافه يقول: (اللهم قني شح نفسي. قال له رجل ما أكثر ما تدعو بهذا. فقال: إذا وقيت شح نفسي وقيت الشح والظلم والقطيعة)(2).

قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: 9].

(فإن الشح أصل للبخل وأصل للحسد وهو ضيق النفس وعدم إرادتها وكراهتها للخير على الغير فيتولد عن ذلك امتناعه من النفع وهو البخل إضرار المنعم عليه وهو الظلم وإن كان في الأقارب كان قطيعة)(3).

وإننا نجد أن الكرم من الصفات العظيمة التي ما تكون في نفس إنسان إلا كان الشرف والطيب نعته. «إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم»(4).

---

(1) أبو داود رقم 1698 وأحمد ج159/2.
(2) فتاوى ابن تيمية ج80/5.
(3) مكارم الأخلاق 101.
(4) الترمذي في الأدب 41.

وقـال – عليـه الصـلاة والسـلام -: «اليـد العليـا خـير مـن اليـد السفلى»[1].

وليس الكرم مجرد تقديم العطاء والشراب بل هو أكبر من ذلك فبسط الوجه وحسن اللقاء والبشر والمؤانسة كلها من الكرم وهذه أخلاق عظيمة قالوا إن تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المؤاكلة قال الشاعر:

لحـافي لحـاف الضـيف والبيـت بيتـه ولم يهـــني عنـــه غـــزال مقنـــع

إحداثـه إن الحـديث مـن القـرى وتعلـم نفسـي إنـه سـوف يـبهج

وقال عمرو بن الأهتم:

فقلت له: أهلًا وسهلًا مرحًا فهـذا مبيـت صـالح وصـديق

وقال آخر:

أضـاحك ضـيفي قبـل إنـزال رحلـه ويخصـــب عنـــدي والمحـــل جـــديب

ومـا الخصـب للأضـياف أن يكثـر القـرى ولكنمـــا وجـــه الكـــريم خصـــيب[2]

(1) مسلم رقم 1033.

(2) البيان والتبيان ج14/1.

رابعًا: سماحة النفس:

حينما يتعامل الناس بعضهم مع بعض بسماحة نفس بلا شدة ولا نكد بل التسامح واللين وترك التذمر فإن ذلك يكون له أثر عظيم في تحقيق الخلق الحسن. لأن النفوس إذا تسامحت تقابلت وإذا تقابلت تصافت فكان نتاج ذلك المحبة والمودة لأن ذلك لا يتحقق إلا إذا تلاينت النفوس وتركت الغلظة وأعطت الابتسامة لأن في الابتسامة دليل حب.

لذلك نجد الإسلام يرغب في هذا الخلق بصور شتى منها في البيع. «رحم الله رجلًا سمحًا إذا با ع وإذا اشترى وإذا اقتصى»[1].

وفي التلاين مع البعض والسهالة.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «المؤمن هينون لينون كالجمل الأنف أين قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ»[2].

قال الشاعر[3]:

وكنـــت إذا علقـــت حبـــال قـــوم
صـــحبتهم وشـــيمتي الوفـــاء
فأحســـن حـــين يحســـن محســـنوهم

(1) البخاري رقم 2076، وابن ماجة رقم 2203.

(2) أبو تميم في الحلية رقم 180/5.

(3) بهجة المجالس ج114/3.

وأجتنـــــب الإســـــاءة إن أســـــاؤوا
أشــــاء ســـوى مشـــيئتهم فـــآتى
مشـــــيئتهم واتـــــرك مـــــا أشـــــاء

وقد رتب النبي – عليه الصلاة والسلام – في إخباره أن اللين السهل القريب قد حرم الله عليه النار وفي هذا من البشارة العظيمة في اكتساب وتحقيق الخلق العظيم. «ألا أخبركم بمن يحرم على النار وبمن تحرم النار عليه؟ على كل هين لين قريب سهل»[1].

وإن مما يساعد على اكتساب وتحقيق هذا الخلق العظيم ما وصف به الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: 159].

وقال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي: (يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحاك فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بضرس يمن عليك بعلمه فلا كثر الله في الناس أمثال هؤلاء).

نعم طلاقة الوجه والابتسامة والبشر كله رسائل موجهة إلى القلب المقابل ما أن تصله حتى ينفتح فتصب فيه ذلك البلسم فيكون غذاؤه عند ذلك يحركه نحو محبة ومودة الآخرين قال – عليه الصلاة والسلام

---

(1) ابن حبان 469.

-: «كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك»[1].

وقال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[2].

وقال جرير ما رآني رسول الله ﷺ إلا تبسم[3].

وقال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[4].

وقال: «وأن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط»[5].

(ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من رسول الله ﷺ)[6].

عن حبيب بن أبي ثابت قال: «ما حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يبتسم»[7]. بل إن الرحمة تغشى الرجل السمح في المعاملة مع الناس من بيع وشراء ونحوه. «رحم الله عبدًا سمحًا إذا با ع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى»[8].

---

(1) الترمذي 1970 وأحمد 344/3.
(2) الأدب المفرد 337/2 والترمذي 1956.
(3) البخاري 2871.
(4) مسلم 144-2626 وأحمد 273/5.
(5) ابن حبان رقم 521.
(6) الترمذي رقم 3641.
(7) روضة العقلاء 77.
(8) البخاري رقم 86.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : (البشاشة فخ المودة...) [1].

خامسًا: العفة:

جاء الإسلام ليرقى بالإنسان عن الدناءة والخسة ويرفعه عن فعل ما لا يليق به لذلك حرص الإسلام على الدعوة إلى العفة لأنها من الأخلاق العظيمة التي متى ما حققها صاحبها أورثته جميل الخصال وأبعدته عن قبيح الفعال.

فإذا تحقق ذلك أقبل عليه الناس وأحبوه. فنتج عن ذلك المودة فهذا ما يريده الإسلام. حيث رغب في هذا الخلق العظيم فقد كان من دعائه – عليه الصلاة والسلام -: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»[2].

وإننا نجد هذا الخلق العظيم يكون تحقيقه بالبعد عما حرم الله. وترك سؤال الناس.

قال تعالى: ﴿ **لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾ [البقرة: 273]. وفي الحديث عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ أن النبي ﷺ قال له مع

---

(1) زهر الآداب ج52/1.

(2) مسلم رقم 2721 وابن ماجة 1260/2.

نفر من الصحابة: «ألا تبايعون؟» قالوا: قد بايعناك يا رسول الله! فعلام نبايعك؟ قال: «لا تسألون الناس شيئًا»[1].

وقال الشاعر:

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن أشد من ذاك ذل السؤال[2]

قال الماوردي رحمه الله: (العفة فنوعان أحدهما العفة عن المحارم والثاني العفة عن المآثم فأما العفة عن المحارم فنوعان أحدهما ضبط الفرج عن الحرام والثاني كف اللسان عن الأعراض. فأما ضبط الفرج عن الحرام فلأن عدمه مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرة فاضحة وهتكة واضحة... والداعي إلى ذلك شيئان أحدهما إرسال الطرف والثاني إتباع الشهوة وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والثانية عليك».

وأما الشهوة فهي خادعة العقول وغادرة الألباب ومحسنة القبائح ومسولة الفضائح وليس عطب إلا وهي له سبب وعليه إلب..

(1) مسلم رقم 1043.
(2) البيان والتبيين ج111/2.

أما كف اللسان عن الأعراض فلأن عدمه ملاذ السفهاء وانتقام أهل الغوغاء وهو مستهل الكلف وإذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف وزاجر صاد تلبط بعاره وتخبط بمضاره وظن أنه لتجافي الناس عنه حمى يتقى ورتبة ترتقى فهلك وأهلك..

وأما العفة عن المآثم فنوعان:

أحدهما: الكف عن المجاهرة بالظلم – **والثاني**: زجر النفس عن الإسرار بخيانة، فأما المجاهرة بالظلم فعتو مهلك وطغيان مهلك وهو يئول إلى أن استمر إلى فتنة أو جلاء... وأما الإسرار بالخيانة فضعه لأنه ببذل الخيانة مهين ولقلة الثقة به مستكين.. والداعي إلى الخيانة شيئان المهانة وقلة الأمانة(1).

سادسًا: الحياء:

الحياء خلق عظيم جاء به الشرع فهو يورث في النفس البعد عن المساوئ والحرص على السمعة الحسنة وإذا تحقق ذلك في النفس أعمل فيها العبد عن سفاسف الأمور وترك ما يستحى منه وأورثه الخصال الحميدة من المودة والمحبة وهذه قيم أخلاقية عظيمة على المرء الحرص عليها فإنها الحبل المتين للتعامل مع الخلق أجمعين.

---

(1) أدب الدنيا والدين 309-314 بتصرف.

لذلك قال – عليه الصلاة والسلام –: «إن لكل دين خلقًا وخلق الإسلام الحياء»[1].

ولنا في رسول الله أسوة حسنة فقد: (كان عليه الصلاة والسلام أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه)[2].

بل لمكانة الحياء في الشريعة الإسلامية. كان قرين الإيمان. مما يشعرك بعظمته.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «الحياء والإيمان قرنًا جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر» وفي رواية ابن عباس: «فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر»[3].

وقال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»[4].

(فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة كما أن الواقع إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدومًا وتواتر الشر منه موجودًا لأن

---

(1) مالك في الموطأ 905/2 رقم 9.
(2) مسلم رقم 2320.
(3) الحاكم – شعب الإيمان 7727 ورقم 7726.
(4) أحمد 501/2 الترمذي رقم 2009.

الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها. فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها)[1].

فالحياء مادة الخير بل الخير كله. قال – عليه الصلاة والسلام –: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، «الحياء خير كله»[2].

فالحياء إذا حققه المرء مع الله وفي نفسه وفي كلامه وفي عينه وفي يده ورجله وفي بطنه كان له الأثر العظيم في حياته فبه يقصر عن الشر وبه يقرب من الخير فتكون السعادة في نفسه بالطمأنينة لأن ترك المعاصي راحة ومع الآخرين محبة ومودة فكلا الأمرين نور على نور.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «استحيوا من الله حق الحياء» قلنا إنا نستحيي من الله يا نبي الله والحمد لله. قال: «ليس ذلك ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[3].

لذلك كان – عليه الصلاة والسلام –: «اللهم لا يدركني زمان لا يتبع فيه العليم ولا يستحى فيه من الحليم»[4].

---

(1) روضة العقلاء 58.
(2) البخاري رقم 1521/10 ومسلم رقم 60 وأحمد 427/4.
(3) الترمذي رقم 2457 وأحمد رقم 387/1.
(4) أحمد رقم 22930.

وفي الأثر: «استح من الله كما تستحي من أولي الهيبة في قومك».

وإن من فوائد لزوم الحياء أن يتعود المرء الخصال الكريمة والسجايا العظيمة (وإن من أعظم بركة الحياء من الله الفوز من النار بلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه لأن ابن آدم مطبوع على الكرم واللؤم معًا في المعاملة بينه وبين الله والعشرة بينه وبين المخلوقين وإذا قوي حياؤه قوي كرمه وضعف لؤمه، وإذا ضعف حياؤه قوي لؤمه وضعف كرمه... إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساويه ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت ومن مقت أوذي ومن أوذي حزن ومن حزن فقد عقله ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له ولا دواء لمن حياء له ولا حياء لمن لا وفاء له ولا وفاء لمن لا إخاء له ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب)[1].

قال يحيى بن جعدة: (إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسبه)[2].

سابعًا: الوفاء بالعهد والوعد:

حينما يحقق المرء الوفاء بالعهد هو بفعله هذا يبني جسور المحبة والمودة بينه وبين الآخرين لأن الناس يثقون فيمن كان هذا فعله فيتعاملون

---

(1) روضة العقلاء 58-59.

(2) روضة العقلاء 59.

معه بطمأنينة وارتياح، هذا التعامل يبث بين المتعاملين روح الأخلاق العظيمة وقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم. مثالًا يقتدى ونبراسًا يحتذى.

روى أنس بن مالك قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله مع النبي قتال المشركين ليرين ما أصنع فلما كان يوم (أحد) انكشف المسلمون فقال اللهم إني أعتذر إليك مم صنع هؤلاء – يعني الصحابة – وأبقرأ إليك ما صنع هؤلاء – يعني المشركين – ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني لأجد ريحها من دون أحد. قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع، ثم تقدم قال أنس: فوجدنا به بضع وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ووجدناه وقد مثل به المشركون فما عرفه إلا أخته بشامة فيه أو ببنانة قال أنس كنا نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** ﴾ [الأحزاب: 23].

وفي مقابل الوفاء نجد إخلاف الوعد وهو خلق ذميم وفعل مشين أن يصدر من رجل له عقل رزين.

لذلك نجد رسول الهدى – عليه الصلاة والسلام – يحذر من ذلك حيث جعله من شعب النفاق فقال: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وإذا وعد أخلف»[1].

(لأن أموت عطشًا أحب إلي من أن أخلف موعدًا) [2].

ثامنًا: أدب الحديث:

اهتم الإسلام بقضية الحديث وعني به عناية فائقة وأدب أتباعه في محاوراتهم وفي حديثهم مع بعض البعض. فقال – عليه الصلاة والسلام –: «أطيبوا الكلام»[3]. وقال تعالى: ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: 83]. وقال علي ﷺ : (من لانت كلمته وجبت محبته)[4].

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»[5].

(1) البخاري 162/3 ومسلم رقم 59.
(2) بهجة المجالس 494/2.
(3) الطبراني (1/275/1).
(4) العقد الفريد (83/2).
(5) البخاري رقم 1350 ومسلم رقم 1016.

فـإذا أردت أن تحقـق الخلـق الحسـن مـع الآخـرين مـن خـلال أدب الحديث فعليك أخي الحبيب أن لا تحد ولا تعلو بالصوت في مخاطبة أخيـك ولا تناقشـه بخشـونة وتـذكر قولـه تعـالى: ﴿ **وَاغْضُـضْ مِـن صَـوْتِكَ إِنَّ أَنكَـرَ الْأَصْوَاتِ لَصَـوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ [لقمان: 19] (إن أقبح الأصـوات لصـوت الحمـير أي غايـة مـن رفـع صـوته أنـه يشـبه بالحمـير في علـوه ورفعـه وهـو مـع هـذا بغـيض إلى الله وهـذا التشـبيه بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم)[1].

وإذا حـدثك عليـك الإصـغاء إليـه والإقبـال عليـه بوجهـك فـلا تقطـع حديثه أو تلتفت إلى غيره وهو مقبل عليك يحدثك. (عن معاذ بن سعيد قال كنا عند عطاء بن أبي رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء سبحان الله ما هذه الأخلاق ما هذه الأخلاق إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أني لا أحسن منه شيئًا) هذا من حسن خلقه وأدبه في الاستماع لمن يحدثه لذلك على المرء (تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه وقلة التلفت إلى الجواب والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم والوعي لما يقول واعلم في ما تكلم به صاحبك أن مما يهجن صواب ما يأتي ويذهب بطعمه

(1) تفسير بن كثير 20/3.

وبهجته ويزري به في قبوله عجلتك بذلك وقطعك حديث الرجل قبل أن يفضي إليك بذات نفسه)[1].

(يا بني إذا حدثك جليسك حديثًا فأقبل عليه وأصغ إليه ولا تقل قد سمعته وإن كنت أحفظ له وكأنك لم تسمعه إلا منه ذلك يكسبك المحبة والميل إليك) [2].

وعليك أن تبتعد عن النقد اللاذع الجارح للمشاعر من قولك كلامك ساقط لا أصل له وأنت في واد وكلامك في واد آخر..).

وعليك بكف لسانك عن الدعاة والعلماء وعموم المسلمين وعدم التعرض لهم إلا بما فيه خير لهم.

عن ابن عمر ضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين. ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله»[3].

وعليك بترك اللغو فإنه من أركان الفلاح قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ**

---

(1) الأدب الكبير والصغير لابن المقفع 68.

(2) بهجة المجالس 43/1.

(3) الترمذي 232. وصححه الألباني في صحيح الترمذي 200/3.

مُعْرِضُـونَ ﴾ [المؤمنـون: 1-3]. إذا فعلـت ذلـك بإذن الله وعـرف الناس منك ذلك أحبوا التعامل معك عند ذلك تبنى جسور المحبة ويحصل الخلق الحسن.

وهنا جملة أخلاق نافعة تتصل بموضوع أدب الحديث في المجامع (إذا كنت في جماعة قوم أبدًا فلا تعمن جيلًا من الناس أو أمة من الأمم بشتم ولا ذم فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك مخطئًا فلا تأمن مكافأتهم أو متعمدًا فتنسب إلى السفه ولا تذمن مع ذلك اسمًا من أسماء الرجال أو النساء بأن تقول إن هذا لقبيح من الأسماء فإنك لا تدري لعل ذلك غير موافق لبعض جلسائك ولعله يكون بعض أسماء الأهلين والحرم ولا تستصغرن من هذا شيئًا فكل ذلك يجرح في القلب وجرح اللسان أشد من جرح اليد. ومن الأخلاق السيئة على كل حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه والقطع للحديث.

ومن الأخلاق التي أنت جدير بتركها إذا حدث الرجل حديثًا تعرفه ألا تسابقه إليه وتفتحه عليه وتشاركه فيه كأنك تظهر للناس أنك تريد أن يعلموا أنك تعلم مثل الذي يعلم وما عليك أن تهنئه بذلك وتفرده به...)[1].

---

(1) الأدب الكبير والصغير 70.

(وأوصى رجل ابنه فقال له: يا بني إذا كنت في قوم فدار بينهم تدبير فلا تعجل بالجواب قبل أن تعرف ما عندهم. ولا تتكبر عن متابعتهم إذا ظهر لك الحق فإن المتابعة على الصواب أحسن من الابتداء بالخطأ واعلم يا بني أن إصابتك الرأي بعد خطأ القوم أحمد لك من إصابتك قبل كلامهم فإنه لا يعرف فضل رأيك على غيره إلا بعد المعرفة بما عندهم فعند ذلك يستبين القول السديد من السفيه والرأي الرشيد من الكريه ومن استقبل وجوه الآراء علم مواضع الخطأ)[1].

وإن من قلة الأدب أن تقطع الحديث على من يحادثك أو أن تتم كلامه مشعرًا إياه أنك أحفظ منه فهذه ليست من أخلاق ذوي المروءات بل الأولى أن تستمع إليه حتى يقضي كلامه، وإن كنت به عالمًا.

قال ابن عبد البر رحمه الله: (ومن سوء الأدب في المجالسة أن تقطع على جليسك حديثه أو تبدره إلى تمام ما ابتدأ به منه خبرًا كان أو شعرًا تتم له البيت الذي بدأ تريه أنك أحفظ له منه فهذا غاية في سوء المجالسة بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه)[2].

(1) عين الأدب والسياسة 266.

(2) بهجة المجالس 49/1.

قال بعض الحكماء من الأدب أن لا يشارك الرجل في حديثه وإن كان أعلم به منه[1].

وإن من العيوب في المحادثة أن يكرر الرجل كلامه بغير مسوغ حتى يمل منه مستمعوه.

(قال محمد بن صبح المعروف بالسماك لجاريته: كيف ترين ما أعظ الناس. قالت: هو حسن إلا أنك تكرره.

قال: إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه.

قالت: إلى أن يفهمه البطيء يثقل على سمع الذكي) [2].

وإن مما يتصل بأدب الحديث أن يكون المرء صادقًا تاركًا للكذب لأن الرجل الذي يعرف بالصدق يتعامل معه الناس ويتخلقون معه بأخلاق طيبة بخلاف الكذاب فلا يصدق فمن لم يصدقه الناس في أقواله لن يتعاملوا معه مما يكون سببًا في تحقيق قطع الخلق الحسن مع الآخرين ولأن (الكذب جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء عقبه وخبث نتائجه لأنه ينتج النميمة والنميمة تنتج البغضاء والبغضاء تئول إلى العداوة وليس مع العداوة أمن ولا راحة)[3].

---

(1) تذكرة السامع والمتكلم 159.

(2) زهر الآداب 196/1.

(3) أدب الدنيا والدين 253.

قال الشاعر[1]:

لا يكــذب المــرء إلا مــن مهانتــه أو عـادة السـوء أو مـن قلـة الأدب

وقد قال – عليه الصلاة والسلام –: «وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[2].

وإن من الناس من يتلمس الغلبة على صاحبه عند كل كلمة ورأي فيتعقب ذلك بعد أن نسي ثم يستطيل به على أصحابه وهذا الفعل ليس من أفعال أهل الأخلاق الحسنة والمروءات.

(ولا تلتمس غلبة صاحبك والظفر عليه عند كل كلمة ورأي ولا تجترئن على تقريعه بظفرك إذا استبان وحجتك عليه إذا وضحت فإن أقوامًا يحملهم حب الغلبة وسفه الرأي في ذلك على أن يتعقبوا الكلمة بعدما تنسى فيلتمسوا فيها الحجة ثم يستطيلوا بها على الأصحاب وذلك ضعف في العقل ولؤم في الأخلاق)[3].

---

(1) زهر الآداب ج378/1.
(2) البخاري 90/7 ومسلم 2607.
(3) الأدب الكبير والصغير 63-64.

تاسعًا: سلامة الصدر من الأحقاد:

هذا هو خلق المسلم أن يكون صدره سليمًا نظيفًا من الحقد والحسد على إخوانه المؤمنين. فلا يضم بين صدره غشًا لهم لأن الشر إذا تمكن من القلوب تنافر ودها فسلامة الصدر تفرض على المرء أن يتمنى الخير للناس إن عجز عن سوقه إليهم بيده، فإذا أراد المسلم أن يحقق الخلق الحسن مع إخوانه فعليه العمل بقوله تعالى في وصف المؤمنين وسلامة صدورهم لإخوانهم: ﴿ **وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا...** ﴾ [الحشر: 10]. لأن وجود الغل في القلب مانع قوي من تحقيق الخلق الحسن مع أخيك.

وهذا محمد رسول الهدى يحب أن يخرج على أصحابه وهو سليم الصدر نقي السريرة. لا يحب أن يسمع ما يسوءه. قال: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابه شيئًا فإني أحب أن أخرج إليكم وأن سليم الصدر»(1).

لأن سلامة الصدر تعطي النفس مسافة في داخلها الاستيعاب الآخرين فلا يضيق ولا يتبرم إذا حصل هذا تم ما كان يبتغي من المودة والمحبة والتعاطف والتعاون التي هي من الخلق الحسن.

---

(1) أبو داود 4860، الترمذي 3897، أحمد 189/6.

عن عبد الله بن عمرو وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: «كل مخموم القلب صدوق اللسان» قيل صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: «هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد»[1].

وفي قصة عبد الله بن عمرو مع الرجل الذي طلع عليهم فقال عنه الرسول ﷺ «إنه من أهل الجنة»، وذهاب ابن عمر معه ومبيته عنده فوجده لا يجد في نفسه لأحد من المسلمين غشًا ولا يحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه بيان عظيم على سلامة الصدر للآخرين.

عن أنس بن مالك قال: (كنا جلوسًا عن النبي ﷺ فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال... فلما كان الغد قال النبي ﷺ مذلك ذلك. فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمر فقال: إني لا حيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا. فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت قال نعم قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعار

(1) ابن ماجة 4216.

ذكر الله – عز وجل – حتى ينهض لصلاة الفجر قال عبد الله. غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا.

فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أحتقر عمله. قلت يا عبد الله: لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة. ولكني سمعت رسول الله يقول لك – ثلاث مرات – يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي إليك، فانظر ما عملك فأقتدي بك – فلم أرك عملت كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال: ما هو إلا ما رأيت قال عبد الله: فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت. غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك)[1].

وفي رواية: (ما هو إلا ما رأيت يا ابن أخي. إلا أني لم أبت ضاغنًا على مسلم)[2].

إن السعادة الجالبة لراحة الضمير المبعدة عن الفعل الحقير سلامة الصدر للآخرين وعدم إضمار الشر لهم فإذا (أردت أن لا يصل إليك من أحد شر فلا تعتقد الشر بقلبك ولا تطو عليك سرك)[3].

---

(1) أحمد 12720.

(2) الترغيب والترهيب 4384.

(3) عين الأدب والسياسة 266.

وإن من سلامة الصدر ترك الحسد لأنه من الأخلاق السيئة فهو أصل كل شر (ومن الحسد يتولد الحقد والحقد أصل من الشر ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتًا مرًا مذاقه، نماؤه الغيظ، وثمرته الندم)[1].

قال ابن سيرين: (ما حسدت أحدًا على شيء من الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار)[2].

عاشرًا: عدم المبالاة بكلام الناس:

إذا أردت أن تحقق الخلق الحسن عليك أن لا تبالي بكلام الناس فيك لأن ذلك لا يضرك ولأن المبالاة بكلامهم فيه مفاسد تكون معوقة عن تحقيق الخلق الحسن وذلك أنك سوف تفكر فيما قيل فيك حتى يحدث في نفسك أثرًا نحو من تكلم فيك يكون صادًا لك عن التعامل معهم وأيضًا يحدث لك موقف ونحوهم من شك وريبة وغيره فيكون الناتج التقاطع بينك وبينهم وهذا له فيه تعطيل لتحقيق الخلق الحسن.

(1) روضة العقلاء 228.
(2) روضة العقلاء 228.

حادي عشر: ترك الغضب:

(جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال مرني ولا تكثر علي لعلي أعقله قال: «لا تغضب». فأعاد عليه فقال: «لا تغضب»[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ [الشورى: 37]، و﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران: 134] [2].

وقال – عليه الصلاة والسلام: «ما جرع عبد جرعة أعظم أجرًا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله – عز وجل –».

الصفح عمن أساء وكظم الغيظ والعفو عن الناس أخلاق عظيمة إذا ربى المرء نفسه عليها أنتجت له خلقًا حسنًا يتفيأ ظلاله في حياته من حب ومودة ورحمة.

خذ العفو واصفح عن أمور كثيرة
ودع كدر الأخلاق واعمد لما صفا
وبغى عدو كاشح قد علمته

(1) البخاري 76 وأحمد 175/2.
(2) ابن ماجة 4189.

فكنـت كمـن أغضـى بعـين علـى قـذى(1)

أما الغضب فيجعل النفس تسترسل مع هواها فربما أُذي من غضب منه بسب أو شتم ونحوه فيكون نتيجة ذلك التخاصم والحقد.. المؤدي إلى تعطيل تحقيق الخلق الحسن.

وهذا هود – عليه السلام – يدعو قومه إلى عبادة الله وحده فيقابلون، دعوته النيرة بالصد ويصفونه بالطيش والسفاهة والكذب وهو يحلم عليهم ولا يغضب، كيف يغضب وهو رسول الله رب العالمين عليه تعليم الجاهل والصبر عليه والتخلق بأحسن الخلق ليبلغ ما أمر الله به وقد فعل – عليه السلام –.

قال تعالى حاكيًا حاله معهم: ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ** ﴾ [الأعراف: 66-68].

لذلك نجد أن قوة المرء أن يتغلب على غضبه قال – عليه الصلاة والسلام–: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(2).

---

(1) عين الأدب والسياسة 276.

(2) البخاري 91/10 ومسلم 2109.

(فكمال قوة العبد أن يمتنع من أن تؤثر فيه قوة الشهوة وقوة الغضب الآثار السيئة بل يصرف هاتين القوتين إلى تناول ما ينفع في الدين والدنيا وإلى دفع ما يضر فيهما. فخير الناس من كانت شهوته وهواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ وغضبه ومدافعته في نصر الحق على الباطل وشر الناس من كان صريع شهوته وغضبه)[1].

ثاني عشر: الرحمة:

برحمة الخلق والرفق بهم يستطيع المرء أن يحقق أخلاقًا حسنة. لأن الرحمة إذا استولت على القلب فإنها لا محالة تفيض على الغير فيكون نتيجة ذلك الحب للآخرين.

قال تعالى واصفًا رسوله الكريم بهذا الخلق العظيم: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: 159].

قال الشوكاني رحمه الله: (والمعنى لو كنت فظًا غليظ القلب لا ترفق بهم لتفرقوا من حولك هيبة لك واحتشامًا منك)[2].

وقال سيد قطب رحمه الله: (فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم، فجعلته ﷺ رحيمًا بهم، لينًا معهم ولو كان فظًا غليظ القلب ما تألفت حوله

(1) بهجة قلوب الأبرار 194.
(2) فتح القدير ج393/1.

القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم. في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ويجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري ولا احتجز لنفسه شيئًا من أعراض هذه الحياة بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه...)[1].

وقد جاء عن الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – أن لا إيمان بدون رحمة وأن من لم يرحم الناس فلا رحمة له عند الله بل جعلها رحمة عامة لكل من في الأرض فهو – عليه الصلاة والسلام – بهذا الأسلوب يرسخ معاني الرحمة حتى إذا ما رسخت وتشعبت جذورها في القلوب عند ذلك تفيض بثمر يكون لكل ملتقط له به شهوة عند ذلك تعم المحبة بين أفراد المجتمع ويتحقق الخلق الحسن.

---

(1) الظلال ج1/500-501.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «لن تؤمنوا حتى تراحموا». قالوا يا رسول الله كلنا رحيم. قال: «إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة»[1].

وقال: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»[2].

وقال: «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء»[3].

وقال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[4].

وقال: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل غني عفيف متصدق»[5].

وإننا نجتمع المجتمع المسلم لا يتماسك ولا ترتبط لبناته إلا إذا كانت الرحمة بين أفراده هي مادة للرزق لذلك المجتمع. إذ بالرحمة ترق القلوب فإذا رقت تراحمت وإذا تراحمت أحبت بعضها البعض عند ذلك تتآلف فإذا تآلفت تحقق بينها الخلق الحسن.

---

(1) الترغيب والترهيب 3409.
(2) البخاري 6941.
(3) الطبراني.
(4) أبو داود باب 58.
(5) مسلم 63، وأحمد 162/4، 622.

قال تعالى: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [المائدة: 54].

وقال: ﴿ **أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: 29].

«ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا»(1).

هكذا المجتمع المسلم ينبغي أن يكون فيما بينه تراحم وتعاطف وتناصح نابع من خلق الرحمة. فإن الرحمة لا تنزع إلا من شقي «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»(2).

وإننا نجد أن تشريع الرحمة في الإسلام لم يكن خاصًا بالإنسان بل تعدى إلى الحيوان وهذا يدل على عظم هذه الشريعة.

عن معاوية بن قرة عن أبيه قال رجل يا رسول الله إني لأذبح الشاة فأرحمها – أو قال إني لأرحم الشاة أن أذبحها قال: «والشاة إن رحمتها رحمك الله»(3).

وقد وجبت المغفرة لرجل سقى كلبًا.

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش فوجد بئرًا فنزل فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث

---

(1) أبو داود 4843.
(2) أبو داود 4942 ومسلم 97-65.
(3) الأدب المفرد 373 أحمد 436/3.

يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغني فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكها بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له». فقالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا؟. قال: «في كل كبد رطبة أجر»[1].

وفي المقابل نجد أن الله أوجب العقوبة لمن آذى ولم يرحم البهيمة.

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا فدخلت فيها النار فقال والله أعلم لا أنت أطعمتيها ولا سقيتيها حين حبستيها ولا أنت أرسلتيها فأكلت من خشاش الأرض»[2].

وهذا رسول الله ﷺ يعلم أصحابه ﭫ الرحمة بالطيور لأن أذيتها لا تجوز حيث أخذ أحد أصحابه بيض بعضها ففجعها وهذا الفعل ينافي الرحمة.

عن عبد الله أن النبي ﷺ نزل منزلًا فأخذ رجل بيض حمرة فجاءت ترف على رأس رسول الله ﷺ فقال: «أيكم فجع هذه بيضتها» فقال رجل يا رسول الله أنا أخذت بيضتها فقال النبي ﷺ: «أردده رحمة لها»[3].

---

(1) البخاري في الأدب 176.
(2) الألباني السلسلة الصحيحة 28.
(3) أحمد 3835/3836.

ثالث عشر: العفو:

من الأخلاق العظيمة التي لها دور في تماسك لبنات المجتمع، فالعفو عمن أساء يدل على سعة الصدر إذا به يحصل التواد وتقل القطيعة، عند ذلك يتحقق الخلق الحسن بين المؤمنين.

عن عائشة قالت لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخابًا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح[1].

حينما يجازي المرء السيئة بالسيئة ماذا تكون النتيجة؟ إنها مادة العداوة والشقاق والاختلاف بخلاف العفو فإنه مادة التواد والتعاطف والحب، فحين يقارن المرء بينهما يترجح عند ذي العقل العفو والصفح وهذا يحتاجه الدعاة إلى الله فهو مادة الإصلاح.

بل نجد أن العبد حينما يعفو عن الآخرين سواء في الحقوق المادية أو المعنوية المتعلقة به يكون بذلك أعز نفسه كما جاء في الحديث عنه ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام -: «حبس رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير إلا أنه كان رجلًا يخالط الناس وكان موسرًا فكان

(1) أحمد 25456، الترمذي 2016.
(2) مسلم 69-2588.

يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله – عز وجل – فنحن أحق بذلك منه فتجاوزوا عنه»[1].

وقال تعالى: ﴿ **وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ** ﴾ [آل عمران: 134].

وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الشورى: 40].

قال أيوب: (لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس والتجاوز عنهم)[2].

وكان هلال بن العلاء الباهلي[3] يقول: (جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكافئ أحدًا بسوء وذهبت إلى هذه الأبيات:

لما عفوت ولم أحقد على أحد ... أرحت قلبي من غم العداوات

إني أحي عدوي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات

وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنما قد حش قلبي محبات

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح 225.

(2) روضة العقلاء 167.

(3) روضة العقلاء 169.

رابع عشر: كيف تحقق حسن الخلق؟

إذا أردت أن تحقق الخلق الحسن مع الخلق عليك التعرف على ما سطره الإمام ابن القيم رحمه الله إذ جعل الأخلاق قسمين حسنة وسيئة وجعل لكل قسم منها أركانًا متى ما تعرفت عليها وعملت بها فإنها تساعدك بإذن الله على تحقيق الأخلاق الحسنة والبعد عن الأخلاق السيئة.

إذ هي بمثابة الأركان التي يقوم عليها البناء فهل رأيت بناء لا يقوم على أركان؟ قال رحمه الله: (وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة والشجاعة والعدل).

فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيث وكف الأذى والحلم والأناة والرفعة وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير وتمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة والشجاعة تحمله على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته وتحمله على كظم الغيظ والحلم فإنه بقوة نفسه وشجاعتها يمسك عنانها ويكبحها بلجامها عن النزغ والبطش كما قال النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك

نفسه عند الغضب» وهو حقيقة وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس.. ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة.

ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل والظلم والشهوة والغضب.

فالجهل يريه الحسن في صورة القبيح والقبيح في صورة الحسن والكمال نقصًا والنقص كمالًا.

والظلم يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضى ويرضى في موضع الغضب، ويجعل في موضع الأناة ويبخل في موضع البذل ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة ويشتد في موضع اللين ويتواضع في موضع العزة ويتكبر في موضع التواضع.

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والنهمة والجشع، والذل والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسفه[1].

خامس عشر: معرفة الإنسان لأخلاقه:

حينما يعرف المرء نفسه هل هي مطبوعة على الخلق الحسن أو محرومة منه، هذه المعرفة وتقديرها داع وحافز لك إلى تحقيق الخلق الحسن فإذا وجدت أنه طبع عملت على تقويته وإن وجدته معدومًا بحثت عنه وجاهدت نفسك على زرعه فيها حتى يصبح لك سجية.

ومما يلحق بذلك المعرفة بالنفوس الأخرى وما طبعت عليه من الأخلاق باب من أبواب تحقيق الخلق الحسن إذ بهذه المعرفة تستطيع التعامل معها وفق طبعها الطيبة بالطيب والخبيثة بالاجتناب عنها وهكذا عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى خلق آدم – عليه السلام – من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب»[2].

(قد بين النبي ﷺ في هذا القول أن الناس أصناف وطبقات وأنهم إلى تفاوت في الطباع والأخلاق فمنهم الخير الفاضل الذي ينتفع بصحبته ومنهم الرديء الناقص الذي يتضرر بقربه وعشرته...)[3].

---

(1) تهذيب مدارج السالكين 416.

(2) أحمد 400/4 وأبو داود 4693.

(3) العزلة 63.

وحينما يتأمل المرء إلى طبقات الناس يجدهم كما قال الخطابي (طبقات شتى منهم ذو القحة الذي يكاشف بالشتم الصريح مكاشفة ويجاهر باللفظ القبيح مجاهرة ومعالنة، ومنهم من يعرض بالأذى ويكني ويمرض القول به ويروي ومنهم من يؤذي صاحبه بالمسارة والنجوى والمباثة والشكوى ومنهم من يشجو أخاه بغمز العين ورزم الجبين وزم الشفتين وكرف العرنين ومنهم جانب لا يعاجل بالسوء معاجلة ولا يؤاخذ بالذنب بغتة لكن يحرص على الأنفاس ويعد الحروف والألفاظ ويحفظها ليوم حاجته وأوان فرصته فيبكت بها ويعير ويطنب فيها أو يقصر على شاكلة قول الشاعر في مثله:

احذر مودة مارق شاب المرارة بالحلاوة

يحصي العيوب عليك أيام الصداقة للعداوة[1]

مما سبق يتضح أن تأخذ لكل صنف قدرة تارة بالسياسة والمدارة وتارة بالإنكار والنصيحة وتارة بالمفارقة والبعد عن الفضيحة حتى تحقق الخلق معهم على مراد الشرع وقانونه.

عن الأصمعي قال: قال سمعت ابن أبي شيبة يقول: لا تجالس أحدًا بغير طريقته فإنك إذا أردت لقاء الجهل بالعلم والملاهي بالفقه والعي بالبيان فقد آذيت جليسك[2].

---

(1) العزلة 86/85.

(2) غاية الرغبة في آداب الصحبة.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : (خالط المؤمن بقلبك وخالط الفاجر بخلقك)[1].

ومما يوضح ذلك أن تعاشر (الشكس بالتواضع والمهين بالتآمر والبخيل بالمسامحة والسخي بالرغبة ولا تغفلن في كل الأحوال عن ثمرة حسن المداراة)[2].

سادس عشر: ترك ما لا يعني:

إذا أردت أن تحقق خلقًا حسنًا فلا تدخل في أمور الناس بالقول أو الفعل وتبحث فيها لأن ذلك الخوض فيما لا يعنيك مؤداه عرقلة تحقيق الخلق الحسن قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[3].

(قال الشافعي رحمه الله: يا أبا موسى رضاء الناس غاية لا تدرك ليس إلى السلامة من الناس سبيل فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه ودع الناس وما هم فيه)[4].

---

(1) بهجة المجالس ج651/2.
(2) عين الأدب والسياسة 270.
(3) الترمذي 2317.
(4) العزلة 89.

سابع عشر: دراسة سيرة الرسول ﷺ:

وإن من تحقيق الخلق الحسن أن تجعل رسول الهدى لك قدوة فتعمل بما أمر وطريق ذلك دراسة سيرته ﷺ دراسة متأنية لتتعرف من خلالها كيف كان رسول الله ﷺ يتعامل مع أهله وجيرانه وخدمه وأصحابه وأعدائه. فإن ذلك حري أن يكسبك أخلاقًا طيبة بمقدورك أن تحققها في حياتك.

ثامن عشر: التعايش في بيئة صالحة:

التعايش في بيئة صالحة أصحابها لهم خلق ودين لأن الإنسان مدني بطبعه لابد له من صحبة فليتخير المرء أحسنهم فإن الصحبة لها تأثير على المرء فهي تصبغه بصبغتها.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(1).

(وينبغي للعاقل أن يسترشد بإخوان الصدق الذين هم أصفياء القلوب ومرايا المحاسن والعيوب على ما ينبهون عليه من مساويه التي صرف حسن الظن عنها فإنهم أمكن نظرًا وأسلم فكرًا ويجعلون ما ينبهونه عليه من مساويه عوضًا عن تصديق المدح فيه وقد روى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «المؤمن مرآة المؤمن إذا رأى فيه عيبًا

(1) الترمذي 2378، وحسنه الألباني صحيح الجامع رقم 3539.

أصلحه» وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: (رحم الله امرءًا أهدى غلينا مساوينا)[1].

تاسع عشر: ترك الكلام غير المفيد:

إذا أردت أن تحقق الخلق الحسن فعليك إذا خالطت الناس أن تترك الكلام غير النافع والبعد عن الغضب وأن يكون تعاملك معهم مبنيًا على الصدق والأمانة وهذا ما وصى به سلمان ﷺ لما جاءه رجل فقال: (أوصني قال: لا تكلم. قال لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يتكلم. قال فإن تكلمت فتكلم بحق أو اسكت. قال: زدني: قال: لا تغضب. قال إنه ليغشاني ما لا أملكه. قال: إن غضبت فأمسك لسانك ويدك قال زدني: قال: لا تلابس الناس. قال: لا يستطيع من عاش في الناس أن لا يلابسهم. قال: فإن لابستهم فاصدق الحديث وأد الأمانة)[2].

العشرون: ترك عتاب الآخرين:

إذا أردت أن تحقق الخلق الحسن مع الآخرين فلا تكثر من العتاب والتعنيف لأن كثرته تولد في النفس أمورًا غير مرغوب فيها من النفور والمخاصمة مما يكون سببًا في التقاطع المعطل لتحقيق الخلق الحسن.

(1) أدب الدنيا والدين 235 – 236.

(2) صفة الصفوة 549/1.

(إن المعاتبة تبعث التجني والتجني يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في شيء ثمرته العداوة)[1].

قال الشاعر:

فدع العتاب فرب شر هاج له العتاب[2]

قال ابن المقفع: (فإن المعاتبة مقطعة للود)[3].

الحادي والعشرون: التواضع:

التواضع من الأخلاق العظيمة التي تكسب المرء محبة الآخرين فمتى ما فعل المرء الخلق العظيم استطاع به أن يحقق أخلاقًا عظيمة لأن التواضع (يكسب السلامة ويورث الألفة ويرفع الحق ويذهب الصد وثمرة التواضع المحبة كما أن ثمرة القناعة الراحة وإن تواضع الشريف يزيد من شرفه كما أن تكبر الوضيع يزيد من ضعته.. وما استجلبت البغضة بمثل التكبر ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع ومن استطال على الإخوان فلا يثقن منهم بالصفاء ولا يحب لصاحب الكبر أن يطمع في حسن الثناء ولا تكاد ترى تائهًا إلا وضيعًا. فالعاقل إذا رأى من هو أكبر سنًا منه تواضع له وقال سبقني إلى الإسلام وإذا رأى من هو

(1) عيون الأخبار ج37/3.
(2) عيون الأخبار ج35/3.
(3) الأدب الكبير والصغير 62.

أصغر سنًا تواضع له. وقال سبقته بالذنوب وإذا رأى من هو مثله عده أخًا...)[1].

(كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا سافر لا يقوم في الظل وكان يراحلنا ويرحل رحله وحده وقال ذات يوم:

لا يأخذ الليل عليك بالهم   إذا لبسن له القميص واعتم

ولكن شريك نافع وأسلم   ثم أخدم الأقوام حتى تخدم[2]

الثاني والعشرون: المزاح المعتدل:

المزاح المعتدل الذي يقصد به استمالة القلوب وإفراحها والخروج من غلاقة الوجه والعبوس لا بأس به لأن مؤداه تحقيق الخلق الحسن بإذن الله تعالى.

الثالث والعشرون: ترك سماع النميمة:

لأن في سماع النميمة ما يحدث في النفس نحو المنم فيه أمورًا نتاجها البعد عنه فتكون الفرقة والحقد فيكون عائقًا عن تحقيق الخلق الحسن. (عن العتبى قال سمعت أعرابية توصي ابنًا لها، فقالت: عليك بحفظ

---

(1) روضة العقلاء 61-62.

(2) عيون الأخبار ج375/1-376.

السر وإياك والنميمة فإنها لا تترك مودة إلا أفسدتها ولا جماعة إلا بددتها ولا ضغينة إلا أوقدتها)[1].

فعلى (العاقل لزوم الإغضاء عما ينقل الوشاة وصرف جميعها إلى الإحسان وترك الخروج إلى ما لا يليق بأهل العقل مع ترك الإفكار فيما يزري بالعقل...)[2].

قال الشاعر[3]:

واعصوا الذي يسدي النميمة بينكم — منتصحًا وهو السمام النقع

يزجي عقاربه ليبعث بينكم — حربًا كما بعث العروق الأخدع

حران لا يشفي غليل فؤاده — عسل بماء في الإناء مشعشع

لا تأمنوا قومًا يشب صبيهم — بين القبائل بالعداوة ينسع

إن الذين تروهم خلانكم — يشفي صداع رؤوسهم أن تصرعوا

فضلت عداوتهم على أحلامهم — وأبت ضباب صدورهم لا تنزع

قوم إذا دمس الظلام عليهم — حدجوا قنافذ بالنميمة تمرغ

(1) روضة العقلاء 259.
(2) روضة العقلاء 297.
(3) عيون الأخبار ج26/2.

الرابع والعشرون: ترك الظن والتجسس:

ترك الظن والتجسس: لأن العمل بها مؤداه إثارة الشكوك نحو من أسأت الظن به ومن تجسست عليه مع ما فيه من كشف للعورات وتتبع الزلات والهنات وحيث أن هذه الأفعال ليست من أخلاق المؤمنين ولا من صفات عباد الله الموحدين، فحينما تسيء الظن والتجسس سوف يتكون لديك أمور في نفسك تكون صادرة لك عن التعامل مع أخيك مما يكون سببًا في تعطيل تحقيق الخلق الحسن.

ولذلك حذر الله سبحانه وتعالى من هذا الفعل بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا** ﴾ [الحجرات: 12].

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا»[1].

فعلى (العاقل لزوم السلامة، بترك التجسس عن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه فكلما اطلع على عيب لنفسه، هان

(1) البخاري 6064، ومسلم 25630.

عليه ما يرى مثله من أخيه وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه وتعذر عليه ترك عيوب نفسه...)[1].

مع هذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والشروحات العلمية فقد نبتت في هذا العصر نابتة جل همها تتبع العثرات وتجميع الزلات والبحث عنها في مظانها وسبب ذلك تقديمهم لسوء الظن فأرادهم في عميق وادي التجسس المنهي عنه فهم بذلك لا للدين نصروا ولا للأخلاق الفاضلة مع إخوانهم فعلوا، فالحذر الحذر من مهاوي الردى.

قال الغزالي: (مهما رأيت إنسانًا يسئ الظن بالناس طالبًا للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبث يترشح منه وإنما يرى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق الكافة)[2].

الخامس والعشرون: ترك الهجران:

ترك الهجران لأن مؤداه التقاطع بين المؤمنين وبسببه تكون الوحشة والتنافر فلا سلام ولا كلام عند ذلك ينعدم التعامل فيما بينهم تكون نتيجته تعطيل تحقيق الخلق الحسن لذلك حذر الرسول من ذلك بقوله: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[3].

---

(1) العقلاء 21.

(2) العقلاء 303 الهامش.

(3) البخاري 5718، مسلم 2559.

(ولا يجب الهجران بين المسلمين عند وجود زلة من أحدهما، بل يجب عليهما صرفها إلى الإحسان والعطف عليه بالإشفاق وترك الهجران)[1].

لذلك وجب البعد عن الأسباب الداعية للهجران حتى يسلم قلب المرء لصاحبه.

* * *

(1) روضة العقلاء 338.

فوائد الخلق الحسن

حينما يتعرف المرء على فوائد الخلق الحسن فإن ذلك يحفزه ويحركه نحو بناء الأخلاق في نفسه لأن الإنسان تواق إلى ما ينفعه وإليك هذه الفوائد:

1- الراحة التي يجدها المرء في نفسه حينما يحقق الخلق الحسن مع غيره، (الحسن الخلق مع نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسيئ الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء)[1].

2- إن الإنسان إذا حسنت أخلاقه كثر من يصافيه وقل من يعاديه فيكون أمره كله سهلًا، وهذه في حد ذاتها فائدة عظيمة. (فإذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب)[2].

(إن الفاسق إذا كان حسن الخلق عاش بعقله وخف على الناس وأحبوه، العابد إذا كان سيء الخلق ثقل على الناس ومقتوه)[3].

3- كثرة الرزق والبركة في الديار والعمران. لأن من تخلق بالخلق الحسن كثر من يحبه فمن كان محبوبًا سهل أمره وتعاون الناس معه فكثر رزقه بإذن ربه.

---

(1) أدب الدنيا والدين 237.

(2) أدب الدنيا والدين 237.

(3) روضة العقلاء 64.

قال – عليه الصلاة والسلام –: «حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار»[1].

وقال يحيى بن معاذ: (في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق).

4- ومن فوائد الخلق الحسن أنه (يحبب صاحبه للقريب والبعيد ويجعل العدو صديقًا والبعيد قريبًا وبه يتمكن الداعي إلى الله والمعلم للخير من دعوته ويجمع الخلق إليه بقلوب راغبة وقبول واستعداد لوجود السبب وانتفاء المانع.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: 159].

بالخلق الحسن وطمأنينة القلب وراحته يتمكن من معرفة العلوم التي سعى لإدراكها والمعارف التي يفكر في تحصيلها وبه يتمكن المناظر والمخاصم من إبداء حجته وفهم حجة صاحبه ويسترشد بذلك إلى الصواب قولًا وعملًا وكما أنه سبب لهذين الأمرين في نفسه فهو من أقوى الدواعي لحصولها لمن خاصمه أو ناظره (إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف).

وبالخلق الحسن يسلم العبد من مضار العجلة والطيش لرزانته وصبره ونظره لكل ما يمكن من الاحتمالات وتجنب ما يخشى ضرره.

---

(1) أحمد 159/6 وصححه الألباني 519.

وبالخلق الحسن يتمكن من الوفاء بالحقوق الواجبة والمستحبة والأهل والأولاد والأقارب والأصحاب والجيران والعاملين وسائر الخلق.

وإن حسن الخلق ليدعو إلى صفة الإنصاف فإن صاحب الخلق الحسن يسلم غالبًا من الانتصار لنفسه والتعصب لقوله لأن الانتصار للنفس والتعصب يحمل على الاعتساف وعدم الإنصاف.

وإن صاحب الخلق الحسن في راحة حاضرة ونعيم عاجل، فإن قلبه مطمئن ونفسه ساكنة وهذا مادة الراحة العاجلة وطيب العيش...)[1].

5- من فوائد الخلق الحسن أنه يصدر المرء عن فعل القبائح ويحظره عن مماشاة أهل الفضائح فيكون من الأخيار.

6- الذكر الطيب والثناء الحسن لمن حسن خلقه وصلح عمله. (حدثني الهيثم ابن عبيد الصيد البصري عن أبيه قال قلت لزيد بن أسلم: (الرجل يعمل بشيء من الخير فيسمع الذاكر له فيسره هل يحبط ذاك شيئًا من عمله قال لا ومن ذا الذي يحب أن يكون له لسان سوء حتى أن إبراهيم خليل الرحمن ﷺ قال: ﴿**وَاجْعَل لِّي**

(1) الفتاوى السعدية 636-637-638 بتصرف.

لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء: 84] عن مجاهد قال الثناء حسن)[1].

أحب مكارم الأخلاق جهدي وأكـره أن أعيب وأن أعـاب[2]

من أخذ نفسه بمكارم الأخلاق جرى من الفضل في ميدان السباق فاستوجب حسن الثناء بالاستحقاق)[3].

7- إن الأخلاق سبب في بقاء الأمم وسبب في رقيها وحضارتها.

إنمـا الأمـم الأخـلاق مـا بقيـت فإن هـم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

قال أنس بن مالك ﷺ : (أتانا رسول الله ونحن في بيت رجل من الأنصار فأخذ بعضادتي الباب ثم قال: «الأئمة من قريش ولي عليكم حق ولهم مثل ذلك ما فعلوا ثلاثًا إذا استرحموا رحموا وإذا حكموا عدلوا وإذا عاهدوا وفوا فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[4].

(1) مكارم الأخلاق 23-24.
(2) أدب الدنيا والدين 244.
(3) عين الأدب والسياسة 119.
(4) الطيالسي 2133 مسند أبي يعلى 4033.

(هذا الحديث حاسم في أنه لا مكانة لأمة ولا لدولة ولا لأسرة إلا بمقدار ما تمثل في العالم من صفات عالية وما تحقق من أهداف كريمة)[1].

* * *

(1) خلق المسلم 33.

أسباب تدني الأخلاق

كما أن للأخلاق ما يرفعها ويكملها فإن لها في المقابل أسبابًا تدنيها وإليك هذه الأسباب:

أولًا: **ضعف الإيمان**: فكلما ضعف الإيمان كان مؤشرًا على تدني الأخلاق وذلك لما للإيمان من قوة في حياة المرء.

ثانيًا: **البيئة**: لها تأثير على خلق الإنسان لأنه ابن بيئته فمن عاش في بيئة لا تعرف للخلق معنى ولا للسمو هدفًا تدنت أخلاقه بما يكسبه من أبناء بيئته.

ثالثًا: **أمور طارئة**: قد يطرأ على الإنسان أمور تكون سببًا في تغير خلقه إلى البذاءة والشراسة والخشونة والغلظة والعبوس.. فمنها:

1- الولاية التي تحدث في الأخلاق تغيرًا وعلى الخلطاء تنكرًا إما من لؤم طبع وإما ضيق صدر وقد تحدث المنازل والولايات لقوم أخلاقًا مذمومة يظهرها سوء طباعهم ولآخرين فضائل محمودة يبعث عليها ذكاء شيمهم لأن تقلب الأحوال سكرة تظهر من الأخلاق مكنونها ومن السرائر مخزونها لاسيما إذا هجمت من غير تدريج وطرقت من غير تأهب.

2- العزل فقد يسوء منه الخلق، ويضيق به الصدر إما لشدة أسف أو لقلة صبر (عن يوسف بن أسباط سمعت سفيان يقول ما رأيت الزهد

في شيء أقل منه في الرئاسة ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب فإن نوزع الرئاسة حامي عليها وعادى)[1].

3- الغنى فقد تتغير أخلاق اللئيم بطرًا، وتسوء طرائقه أشرًا...

لئن تكن الدنيا أنالتك ثروة فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر

لقد كشف الإثراء منك خلائقًا من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

(إذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس).

4- الفقر فقد يتغير به الخلق إما أنفة من ذل الاستكانة أو أسفًا على فائت الغنى ولذلك قال النبي ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفرًا، وكاد الحسد أن يغلب القدر».

وقال أبو تمام الطائي:

وأعجب حالات ابن آدم خلقه يضل إذا فكرت في كنههم الفكر

فيفرح بالشيء القليل بقاوءه ويجزع مما صار وهو له ذخر

5- الهموم التي تذهل اللب وتشغل القلب فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على صبر وقد قيل: الهم كالسم.

---

(1) سير أعلام النبلاء 262/7.

6- الأمراض التي يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم فلا تبقى الأخلاق على اعتدال ولا يقدر معها على احتمال.

7- علو السن وحدوث الهرم لتأثيره في آله الجسد كذلك يكون تأثيره في أخلاق النفس فكما يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من أثقال فكذلك يعجز عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضيق الشقاق وكذلك ما ضاهاه... فهذه سبعة أسباب أحدثت سوء خلق كان عامًا وههنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو البغض الذي تنفر منه النفس فتحدث نفورًا عن المبغض فيئول إلى سوء خلق يخصه دون غيره(1).

رابعًا: **العُجب**: لأن منه يتفرع التيه والزهو والكبر التي تكون سببًا في تدني الأخلاق (فقد يكون العجب لفضيلة في المعجب ظاهرة فمن معجب بعلمه فيكفهر ويتغلق على الناس، ومن معجب بعمله فيترفع ويتعاطى ومن معجب برأيه فيزهو على غيره، ومن معجب بنفسه فيتيه ومن معجب بجاهه وعلو حاله فيتكبر وينتخي، وأقل مراتب العجب أن تراه يتوقر عن الضحك في مواضعه وعن خفة الحركات وعن الكلام إلا فيما لابد له منه من أمور دنياه وعيب هذا أقل من عيب غيره، ولو فعل هذه الأفاعيل على سبيل الاقتصار على الواجبات وترك الفضول لكان ذلك فضلًا وموجبًا لحمدهم ولكنهم

(1) أدب الدنيا والدين 239-240 بتصرف.

إنما يفعلون ذلك احتقارًا للناس وإعجابًا بأنفسهم فحصل لهم بذلك استحقاق الذم و«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» حتى إذا زاد الأمر، ولم يكن هنالك تمييز يحجب عن توفيته العجب حقه ولا عقل جيد، حدث من ذلك ظهور الاستخفاف بالناس واحتقارهم بالكلام وفي المعاملة حتى إذا زاد على ذلك وضعف التمييز والعقل وترقى ذلك إلى الاستطالة على الناس بالأذى باللسان واليد والتحكم والظلم والطغيان واقتضاء الطاعة لنفسه والخضوع لها إن أمكنه ذلك فإن لم يقدر على ذلك امتدح بلسانه واقتصر على ذم الناس والاستهزاء بهم)(1).

قال أبو وبه المروزي: سألت ابن المبارك ما الكبر؟ قال أن تزدري الناس، فسألت عن العجب قال أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك لا أعلم في المصلين شيئًا شرًا من العجب(2).

ولأنه (يحمل على التكبر على الخلق واحتقارهم والاستهزاء بهم وتنقيصهم بقوله وفعله) (3). ولما في الكبر والإعجاب من سلب للفضائل وإكساب الرذائل وما يحدثه من المقت والغل التي تكون سببًا في تدني الأخلاق، قال الماوردي: (لأنهما يسلبان الفضائل ويكسبان

---

(1) الأخلاق والسير 82.
(2) سير أعلام النبلاء 407/8.
(3) بهجة قلوب الأبرار 197.

الرذائل وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح ولا قبول لتأديب لأن الكبر يكون بالمنزلة والعجب يكون بالفضيلة فالمتكبر يجل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين.. أما الكبر فيكسب المقت ويُلهي عن التآلف ويوغر صدور الإخوان... وأما الإعجاب فيخفي المحاسن ويظهر المساوئ ويكسب المذام ويصدر عن الفضائل)(1).

وقال ابن القيم رحمه الله: (أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة والدناءة... فالفخر والبطر والأشر والعجب والحسد والبغي والخيلاء والظلم والقسوة والتجبر والأعراض وإباء قبول النصيحة والاستئثار وطلب العلو وحب الجاه والرئاسة وأن يحمد بما لم يفعل وأمثال ذلك كلها ناشئة من الكبر وأما الكذب والخسة والخيانة والرياء والمكر والخديعة والطمع والفزع والجبن والبخل والعجز والكسل والذل لغير الله واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ونحو ذلك فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس)(2).

خامسًا: ترك الإنكار على من يمارس أخلاقًا غير طيبة: (مسامحة أهل الاستئثار والاستغنام، والتغافل لهم ليس مروءة ولا فضيلة بل هو

(1) أدب الدنيا والدين 231-232 بتصرف.

(2) الفوائد 143-144.

مهانة وضعف وتضرية لهم على التمادي على ذلك الخلق المذموم وتغبيط لهم به وعون لهم على فعل ذلك السوء) [1].

سادسًا: ما ينشأ عليه الولد في منزل أهله: فإذا كان المنزل مما يلتزم فيه بأخلاق طيبة طاب سلوك الابن وإن كان المنزل لا يعرف للأخلاق قيمة ولا يلتزمها ساء سلوك الابن لأن الابن وما تربى عليه فعلى الأب (أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها في الصغر لأن نشأة الصغير على الشيء تجعله متطبعًا به) [2].

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوده أبوه

(فإذا كان الوالد سيء الخلق عديم المروءة فإن ذلك الأثر سيلحق بالأبناء في الغالب)[3].

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ... ويعديهم داء الفساد إذا فسد

يعظم في الدنيا لفضل صلاحه ... ويحفظ بعد الموت في الأهل والولد[4]

---

(1) الأخلاق 48.
(2) أدب الدنيا والدين 228.
(3) الأخلاق 52.
(4) عين الأدب والسياسة 127.

سابعًا: الغفلة عن عيوب النفس: حينما يغفل المرء عن عيوب نفسه فلا يفتش عنها ليصلحها تظل عالقة بها فتنتج خلقًا سيئًا يظل ملازمًا للمرء مما يكون سببًا في تدني أخلاقه فعلى العاقل أن لا يغفل عن عيوب نفسه لأن الغفلة عنها طريق الذلة (حقيقة الذل ألا يعرف الذليل حقيقة نفسه)[1].

ثامنًا: صغر النفس: حينما تكون النفس حقيرة فهي لا تستطيع الوفاء بالحقوق المترتبة عليها لثقل الحمل عند ذلك تلجأ إلى مسارات أخرى تخفف بها ثقل ذلك الحمل من الكذب والنفاق والأعذار الواهية والتنصل من التبعية ورميها على الغير فمن كان هذا حاله هو ترجو منه خلقًا حسنًا بل على العكس سوء خلق نسأل الله العافية من ذلك.

فعلى المرء أن تعلو همته حتى يتخلص من هذه الأخلاق السيئة. قال عمر بن الخطاب: (لا تصغرن هممكم فإني لم أرد أقعد عن المكرمات من صغر الهمم) [2].

(إذا أسندت الأمة مناصبها الكبيرة إلى صغار النفوس كبرت بها رذائلهم لأنفسهم)[3].

---

(1) كلمة وكليمة 97.
(2) أدب الدنيا والدين 307.
(3) كلمة وكليمة 96.

تاسعًا: الصحبة الفاسدة: حينما يصاحب المرء إنسانًا ذا خلق سيء فإنه لا محالة سيتأثر بتلك الصحبة سلبًا مما يكون سببًا في تدني أخلاقه.

(فإن مودة الشرير تكسب العداء وتفسد الأخلاق ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة وملامة فإن المتبوع تابع صاحبه...)[1].

(وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم)[2].

فيكون مردود ذلك عليه أخلاقًا سيئة.

وعليك أن (ترفض صداقة من اشتهر بالبخل ومن اشتهر بالنميمة والثلب والسفه ومن عرف بالكبرياء والخفة والطيش وعدم حفظ السر أو اشتهر بحب الهذر والهذيان والتهتك والخلاعة والكسل ولا يقبل في التآخي من أصيب بخلل في عقله أو شذوذ في أفكاره حتى لا تسقط درجة آداب الإخوان وعلومهم ولا يكون بين أفرادهم واحد لا خير للإنسانية والعمران منه)[3].

(1) أدب الدنيا والدين 169.

(2) روضة العقلاء 100.

(3) جوامع الآداب في أخلاق الإنجاب 50.

وقال – عليه الصلاة والسلام –: «المرء على دين خليله فلينظر المرء من يخالل»[1].

(معناه لا تخالل إلا من رضيت دينه وأمانته فإنك إذا خاللته قادك إلى دينه ومذهبه ولا تغرر بدينك ولا تخاطر بنفسك فتخالل من ليس مرضيًا في دينه ومذهبه)[2].

(الأصمعي قال سمعت أعرابيًا يقول: مخالطة الأنذال والسفلة تحط الهيبة وتضع المنزلة وتكل اللسان وتزري الإنسان)[3].

(إياك وقرين السوء فإنما صلاح أخلاق المرء بمقارنة الكرام وفسادها بمحادثة اللئام وإنما يعرف المرء بقرينه وخدينه...)[4].

عاشرًا: وقوع الأحداث: سبب من أسباب تدني الأخلاق وذلك عندما يصيب المرء نوائب الدهر من خير وشر فإنه يتلقاها فإن كل قوي الإيمان شكر وصبر لهذا خلق المؤمن وإن كان ضعيف الإيمان أشر وبطر وطغى وانحرفت أخلاقه وساءت أقواله وأفعاله.

حادي عشر: المعاصي: تورث العبد المقارف لها أنواع البلايا والرزايا فمن الأخلاق السيئة التي تورثها المعاصي فقدان الغيرة والحياء ومن

---

(1) الترمذي 3278.

(2) العزلة 56.

(3) العزلة 60.

(4) عين الأدب والسياسة 278.

يتبعها من القبائح وارتكاب الفواحش. فالمرء (كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس وقد تضعف القلب جدًا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا غيره وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك وكثير من هؤلاء لا يقتصر على عدم الاستقباح بل يحسن الفواحش والظلم لغيره ويزينه له ويدعوه إليه ويحثه عليه ويسعى له في تحصيله ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله والجنة حرام عليه وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزينه له فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة)[1].

وأيضًا: (الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ بالكلية حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا بإطلاعهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعل والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع.

وإذا رأى إبليس طلعة وجهه حيًا وقال: فديت من لا يفلح

فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين[2].

---

(1) الداء والدواء 71-72.

(2) الداء والدواء 71-72.

وأيضًا حينما يرتكب العبد المعاصي فإنها تورثه الذل والحقارة وصغر النفس مما يكون مؤداها ارتكاب سيء الأخلاق (فما أصغر النفوس مثل معصية الله)(1).

(حدثنا علي بن الأعرابي قال: ذكرنا الزنا عند يحيى بن خالد بن برمك فقال: الزنا يجمع الخلال كلها من الشر لا تجد زانيًا معه ورع ولا وفاء بعهد ولا محافظة على صديق وهو فعل الغدر شعبة من شعبه والخيانة فن من فنونه وقلة المراقبة عيب من عيوبه وترك الامتعاض للأحرار والأنفة للحرم خلة من خلاله وسفك الدم الحرام جناية من جناياته)(2).

ثاني عشر: الطبع: فمن الناس من جبل على سوء الخلق والشر والبذاءة والحسد والحقد للآخرين فيكون طبعه أغلب فيؤدي به إلى سوء الأخلاق إذ لم يروضها عند ذلك لا ينفع معها تأديب.

قال الشاعر:

إذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع فيها الأديب(3)

(1) الداء والدواء 81.
(2) اعتلال القلوب ج95/1.
(3) عيون الأخبار ج7/2.

وقال الشاعر:

كــل امــرئ راجــع لشــيمته   وإن تخلــق أخلاقًــا إلى حــين[1]

وقال عبد الملك للحجاج: أنه ليس من أحد وهو يعرف عيب نفسه فعب نفسك قال أعفني يا أمير المؤمنين قال لتفعلن قال أنا لجوج حقود حسود قال عبد الملك ما في الشيطان شر مما ذكرت)[2].

الثالث عشر: الإعلام وما يبثه: من الملاحظ على وسائل الإعلام وما تبثه عبر قنواتها المختلفة من إفساد للأنفس ونشر للرذيلة. وبما أن بعض الناس مولع بالتقليد فسوف يقلد تلك الأخلاق المرذولة مما يكون سببًا في تدني أخلاقه.

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) عيون الأخبار ج8/2.

(2) عيون الأخبار ج12/2.